عملية براكودا

محمود سالم

عملية براكودا

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

عملية براكودا

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٧ ٢٤٢٣ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
منزل الغرف المضاءة	١١
غامض ... ومجهول	١٧
مطاردة في الفجر	٢٣
الموت بلا اعتراف	٢٩
براكودا ٧	٣٥
الضرب تحت الحزام	٤١
النهاية تقترب	٤٧
الحقائق المذهلة	٥٣

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كل منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرة يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يره أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

منزل الغرف المضاءة

كانت ليلة حالكة الظلام ... لا يُضيئها إلا النجوم البعيدة ... والريح تعصف قادمة من البحر مشبعة برائحة البترول عند شاطئ قرية «عبده» في شمال «لبنان» حيث توجد مصافي شركة البترول العراقية.

وكانت «ريما» الأردنية (أحد الشياطين الـ ١٣) تقف بجوار صخرة على الشاطئ ترقب نافذةً مضاءةً في الطابق الأول من أحد المنازل الواقعة على البحر ... كانت هي النافذة المضيئة المفتوحة في المنزل كله ... فقد كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة صباحًا. وآوى الناس إلى مضاجعهم.

نظرت «ريما» إلى النافذة طويلًا ... ثم نظرت إلى ساعتها ذات الميناء المضيء وقالت في نفسها: لقد تأخَّر «باسم» عشر دقائق عن موعده.

وكان «باسم» العضو الفلسطيني في الشياطين الـ ١٣ قد تسلَّق مواسير المياه ودخل المنزل منذ ٢٥ دقيقة وكان مقدرًا ألَّا يتغيب أكثر من ربع ساعةٍ فقط، ولكنه تأخر.

وأخذت «ريما» تتذكر المهمة التي كُلفا بها هي و«باسم»؛ فقد طلب رقم «صفر» ترشيح اثنين من الشياطين الـ ١٣ لمتابعة شخصٍ معين ... واختار الشياطين المجتمعون في بيروت «ريما» و«باسم» للقيام بالمهمَّة.

وظل الزميلان يتابعان الرجل يوميًّا ... حتى خرج في هذه الليلة من «بيروت» في سيارته ... وتبعه «باسم» و«ريما» في سيارتهما ... وظلَّا يتبعانه من بعيدٍ حتى وصل إلى قرية «عبده» واتجه إلى أحد المنازل الواقعة على الشاطئ، وفتح الباب الخارجي بمفتاح معه، وبعد فترةٍ لاحظ الصديقان أن إحدى نوافذ الطابق الأول قد أُضِيئت، وعرفا أن الرجل هناك.

ولم تكن هذه هي الرحلة الأولى للرجل الغامض خارج «بيروت» في الليل ... فقد تكرَّرت هذه الرحلات التي كان يقوم بها الرجل بمفرده، ومعه حقيبة سوداء صغيرة لا تُغادر يده ... وكان المطلوب من الصديقَيْن ... بالإضافة إلى متابعة تحرُّكات الرجل ... أن يحاولا الحصول على الحقيبة ... أو على الأقل معرفة محتوياتها ... ولم يتمكَّن الزميلان خلال خمسة أيام من الوصول إلى الحقيبة؛ فقد كان الرجل يضلِّلهما في كل مرة ... وقرَّر «باسم» أن يجرِّب الوصول إليها في هذه الليلة ... وقال إنه لن يتأخَّر عن ربع ساعة ... ولكن عشر دقائق أخرى مضَتْ دون أن يظهر ... وبدأَتْ «ريما» تشعر بالقلق ... وعندما مرَّت نصف ساعةٍ دون أن يظهر «باسم» ... غادرَتْ «ريما» مكانها ثم تسلَّقت الصخور المنحدرة التي يقع البيت على قمَّتها ... ثم قفزَتْ إلى أنابيب المياه بحركاتٍ خفيفةٍ مدربة، وأخذَتْ تصعد بهدوءٍ وبسرعةٍ حتى أصبحت بجوار النافذة المضاءة، كانت النافذة تفتح على شرفةٍ عريضةٍ غطَّتْها الأزهار المزروعة في أوانٍ فخارية ... وقاسَتْ «ريما» المسافة بينهما وبين الشرفة ... ثم استجمعت قوتها وقفزت ... ولكن يديها بدلًا من أن تعلقا بسياج الشرفة أمسكتا بالأزهار ... وكادَتْ تهوي فوق الصخور، ولكن لحسن حظها علقت يداها بنهاية السياج، فأمسكت بقوةٍ وأخذَتْ تتأرجح في الفضاء لحظات، ثم استجمعت كل ما في ذراعيها من قوة، وأخذَتْ ترفع جسدها إلى فوق حتى أصبحَتْ في محاذاة الشرفة مرةً أخرى ... ثم رفعَتْ ساقها ونزلَتْ فيها ... ووقفَتْ لحظاتٍ تستردُّ أنفاسها المتلاحقة وتنصت.

كان «باسم» قد دخل بنفس الطريقة ... وشاهدَتْه «ريما» من بعيدٍ وهو يدخل الغرفة، ونظرَتْ «ريما» بطرف عينها داخل الغرفة فلم تجد أحدًا ... وكانت النافذة مفتوحةً فلم تتردَّد وخطَتْ إلى داخل الغرفة. كانت غرفة نوم مفروشة فرشًا بسيطًا، وكان واضحًا من ترتيب الفراش أن أحدًا لم يستعمله ... وخطَتْ «ريما» بضع خطوات سريعة ووصلت إلى باب الغرفة الذي كان مفتوحًا أيضًا ... وأطلَّت «ريما» على دهليز طويل في نهاية سلم ينزل إلى الطابق الأرضي ... كانت فيلَّا قديمة ... وكانت الصالة الواسعة في الدور الأرضي مضاءة أيضًا ... ولم يكن هناك أحدٌ ...

بدأت «ريما» تشعر أن شيئًا غامضًا يلف هذا المنزل القديم ... فالصمت مطبق، وليس هناك سوى صوت الرياح العاصفة القادمة من البحر ...

ونظرت «ريما» يمنةً ويسرة ... وعندما تأكَّدَتْ أن لا أحد هناك أسرعَتْ بالنزول إلى الصالة التي بالدور الأرضي ... كان في وسطها مائدةٌ مستديرة ... وحولها سبعة كراسي

وعليها دورق للمياه وبضعة أكواب ومنافض للسجاير نصف ممتلئة ... ولم يكن هناك أحد. فتحت «ريما» أحد أبواب الغرف المحيطة بالصالة وأطلَّت داخلها ... وكم كانت دهشتها عندما وجدتها مضاءة أيضًا ... وفارغة ... وفتحت الغرفة الثانية والثالثة ... كانت كلها كالغرفة الأولى ... مضاءة وفارغة ... واستولَتْ على «ريما» نوبة من الغضب والدهشة ... ماذا يحدث في هذا المكان؟!

وعاودَت الصعود إلى الطابق الأول، وأخذَت تفتح الغرف بسرعة، وقد تخلَّت عن حذرها تمامًا ... ووقفت حائرة أمام آخر غرفة ... فما حدث في الطابق الأرضي تكرَّر في الطابق الأول ... غرف مضاءة ... فارغة ...

ووقفت «ريما» وسط الدهليز وصاحَتْ بكل قوتها: باسم! باسم! ولم تسمع ردًّا سوى صوت الرياح المدوية ترجُّ الأبواب والنوافذ ... وأخذت «ريما» تجري كالمجنونة وهي تنادي زميلها الذي شاهدَتْه يدخل أمامها ... وليس له أثر ...

أسرعَت «ريما» إلى باب المنزل الذي كان في الجانب الذي لا يطلُّ على البحر ... وحيث كانت تقف سيارة الرجل الغامض ووجدتها تقف مكانها. وزادَت دهشة «ريما» ودار رأسها لقد اختفى الرجل الغامض أيضًا ... وأسرعت إلى السيارة ... ووجدتها فارغة.

وقفت «ريما» تُحدِّق في الظلام ... وقد أحسَّت برعدةٍ تسري في بدنها ... ماذا حدث؟ أين ذهب «باسم»؟ وأين ذهب الرجل الغامض؟! لقد رأت الرجل بعينيها وهو يدخل من باب المنزل ... ودارت هي و«باسم» حول المنزل حتى شاهدا النافذة المضاءة في الجانب الذي يطلُّ على البحر ... وها هو الرجل قد اختفى ... وشاهدت «باسم» وهو يتسلَّق مواسير المياه إلى النافذة المضاءة ويدخل المنزل ... وها هو قد اختفى ... فأين ذهبا؟! والسيارة واقفة مكانها. فكيف اختفيا؟!

لم يكن أمامها إلا حلٌّ واحد ... أن يكون بالمنزل غرفٌ سرية ... فالمنزل قديم وللمنازل القديمة أسرار ... من بينها الدهاليز المختفية، والأبواب السرية، والغرف المسحورة. ولا بد أن «باسم» والرجل الغامض في إحداها.

وعادت إلى المنزل سريعًا ... وبدأت تفتيشًا دقيقًا لكل غرفة، فتحت أبواب الدواليب، رفعت الكراسي ... نظرت تحت السراير ... دقَّت على الحوائط ... انحنت على الأرض. ومضَتْ كالقط تدق هنا وهناك ... وترفع السجاجيد وتنظر تحتها ... فعلَتْ كل ما تعلَّمَتْه في التدريب للبحث عن الأماكن السرية، ولكن لم يكن هناك شيءٌ على الإطلاق. لا دهليز. ولا سرداب. ولا غرف سرية!

احتاجت «ريما» إلى قدرتها كلِّها على ضبط النفس حتى لا تصيح غضبًا وقهرًا ... وأخذَتْ تفكِّر بهدوء ... إن ما حدث ليس بسحر ساحر ... ولا شيء فوق طاقة البشر ... كل ما هنالك أن أشياء قد دارَت في هذا المكان لا تعرفها ... وأن المكان خالٍ فعلًا ... ولا داعيَ لإضاعة وقتٍ أطول ... وهكذا انطلقَتْ خارجةً من المنزل ... وذهبَتْ إلى سيارة الرجل الغامض وأتلفَتْ بعض أجزاء المحرك حتى تضمن أنه لن يعود إليها ويفر إذا كان مختفيًا في أي مكان ... ثم أسرعت إلى السيارة التي قدمت بها هي و«باسم» من «بيروت» وأخذَت تلفُّ في القرية لعلها تعثر على شيءٍ يدلها على المكان الذي ذهب إليه الرجل ... ولكن الطرقات كانت مقفرة ... ولا شيء سوى الريح تعصف بالشوارع الخالية، والظلام ... وأضواء مصافي البترول البعيدة ...

وقرَّرَت «ريما» أن تعود فورًا إلى «بيروت» وأطلقَتْ لسيارتها الحمراء العنان فمضَتْ تطير على الأرض ... كانت المسافة ١٠٠ كيلومتر بين «بيروت» وبين قرية «عبده» وقطعت المسافة في ثلاثة أرباع الساعة ... ثم صعدت مسرعة إلى حيث يوجد مقر الشياطين الـ ١٣ في شارع «أحمد شوقي» المطل على خليج «سان جورج» وكان الموجودون جميعًا ساهرين ... «إلهام» و«زبيدة» و«عثمان» و«أحمد» وتلقوها بنظرة استفسار، فألقَتْ نفسها على أقرب كرسي، ثم مضت تروي لهم ما حدث منذ غادرت هي و«باسم» مقرهم حتى الأحداث التي جرَتْ في المنزل المضاء المهجور في قرية «عبده».

ساد الصمت الصالة بعد حديث «ريما» العجيب ... ثم قالت «إلهام»: سأرسل تقريرًا عاجلًا إلى رقم «صفر» وإن كنت أعتقد أنه قد لا يطَّلِع عليه إلا صباح الغد.

وقامت «إلهام» إلى غرفة اللاسلكي لترسل التقرير ... بينما وقف «عثمان» وأخذ يدور في الصالة كالنمر الحبيس ... كان «عثمان» يحب «باسم» جدًّا ... وكانا زميلَيْن أثناء التدريب ثم التفت فجأةً إلى الأصدقاء قائلًا: لماذا لا نذهب الآن لإعادة تفتيش هذا المنزل العجيب ... ثم نقلب القرية بحثًا عن «باسم» ... ليس من المعقول أن نجلس صامتين بينما «باسم» مفقود. وبدَتْ على وجهه سحابةٌ من الحزن وأضاف: بل قد يكون الآن في عداد الأموات.

كانت أنظار الزملاء معلقةً بـ «عثمان» وهو يتحدَّث فقال «أحمد» بهدوء: إن مصرع واحدٍ من الشياطين الـ ١٣ ليس مسألةً سهلةً يا «عثمان» ... خاصةً و«باسم» هذا الفلسطيني الصلب القوي لا يمكن أن يُقتلَ في مطاردةٍ بسيطةٍ كهذه.

قالت «زبيدة»: اجلس يا «عثمان» ودعنا نتصوَّر ما يمكن أن يكون قد حدث ونتصرَّف على هذا الأساس.

عادت «إلهام» بعد لحظاتٍ وقالت: لقد أرسلت تقريرًا موجزًا بما روَتْه «ريما» وأتوقَّع بالطبع ألَّا يصلنا ردٌّ قبل الصباح ... والآن هل ناقشتم الأمر؟

زبيدة: إنني طلبت منهم حالًا أن نضع تصورًا لما حدث.

فقال «أحمد»: من المؤكد أنه ليس هناك سوى احتمالَيْن؛ الأول أن يكون «باسم» قد اضطر لمغادرة المنزل الغريب خلف الرجل ولم يكن عنده وقتٌ لإبلاغ «ريما»؛ أو أن يكون الرجل قد أوقع به ... وفي الحالة الأولى فلا بد أن «باسم» سيتصل بنا بين لحظة وأخرى ... وفي الحالة الثانية ...

وسكت «أحمد» فأكمل «عثمان»: وفي الحالة الثانية سنسمع أو نعلم أن «باسم» قد عُثر عليه في مكانٍ ما ... قتيلًا!

وعاد الصمت يلف المكان ... وقالت «إلهام»: «الحقيقة أن هناك احتمالًا ثالثًا!» والتفت إليها الأصدقاء فقالت: أن يكون «باسم» أسيرًا.

عثمان: وهل يستطيع رجلٌ واحد أن يأسر «باسم»؟

إلهام: ممكن في ظروف معينة ... ولكن الواضح أن الرجل لم يكن وحده! هل نسيتم مائدة الاجتماعات والكراسي السبعة التي حولها. هل نسيتم منافض السجائر نصف الممتلئة؟!

ريما: هذا ما خطر ببالي بالضبط.

أحمد: معقول جدًّا ... ومن الواضح أنهم حضروا إلى المنزل. بينما كانت «ريما» تقف في الجانب الآخر عند شاطئ البحر ... ولم تستطع «ريما» أن تسمع صوت وصولهم لأن الريح كانت تهبُّ من ناحية البحر فحملت أصواتهم بعيدًا.

وفي تلك اللحظة سمعوا صفارة جهاز اللاسلكي المتقطعة ... وقامت «إلهام» بسرعةٍ لتلتقط الرسالة القادمة من رقم «صفر» ... وفي نفس الوقت دقَّ جرس الباب.

غامض ... ومجهول

أخذ الأصدقاء وضع الاستعداد كما اعتادوا كلما دقَّ جرس الباب ... وأسرع «عثمان» يفتحه، بينما وقف «أحمد» خلفه في انتظار أحداثٍ غير متوقعة ... وما كاد «عثمان» يفتح الباب حتى ارتمى «باسم» بين ذراعيه.

صاح «عثمان»: «باسم»!

ووقف الجميع وأسرعوا إليه ... كانت ثيابُه مبتلةً ... ووجهه شاحب، وقد بدا عليه الإرهاقُ الشديد ... وحدثَتْ حركةٌ سريعة في الشقة ... ملابس جافة ... فوط ساخنة للتدليك ... شاي. وتمدَّد «باسم» على أريكةٍ في الصالة. وأحاط به الأصدقاء بينما أسرع «أحمد» إلى غرفة اللاسلكي ... وأخطر «إلهام» بعودة «باسم» لتخطر رقم «صفر» فوجدها منهمكةً في تلقِّي تقرير يبدو أنه طويل.

عندما عاد «أحمد» إلى الصالة وجد «باسم» أحسن حالًا ... فقد كان يبتسم وقد انحنت «ريما» تضمد له رأسه. وأدرك «أحمد» أنه مصابٌ ... فأسرع يكشف على الجرح الذي كان في مؤخرة رأس «باسم».

قال «أحمد»: كيف حالك الآن؟

باسم: لا بأس!

أحمد: هل في إمكانك أن ترويَ لنا ما حدث أم من الأفضل أن تنام؟

باسم: أفضِّل أن أتحدث الآن.

ريما: ماذا حدث؟ إنني كدت أجن ... لقد انتظرتك نصف ساعة ثم دخلت المنزل فلم أجد أحدًا ... إلا غرفًا مضاءةً فارغة.

ابتسم «باسم» قائلًا: حدثَتْ أشياء كثيرة!

ووقفت «إلهام» تحمل تقريرًا من رقم «صفر» فقال لها «أحمد»: شيء عاجل؟!

إلهام: فلنسمع حديث «باسم» أولًا.

أخذ «باسم» رشفة من كوب الشاي ثم قال: عندما دخلت المنزل من خلال النافذة المضاءة لم أجد أحدًا فيها وتمهلت لحظات ... ثم عبرت الغرفة إلى الدهليز العلوي وسمعت صوت سعال يأتي من أسفل ... ونظرت من أعلى السلم فرأيت الرجل الغامض يجلس وحده ... كان قد فتح حقيبته، وأخرج منها بعض الأوراق، وأخذ يرتبها ... وفي الحقيبة شاهدت مسدسًا ضخمًا به كاتم للصوت ... كان الرجل يجلس في دائرة الضوء، وكنت أقف في الظلام فلم يكن في إمكانه أن يراني ... وقدرت المسافة بيني وبينه ... وقررت أن في إمكاني أن أهاجمه مفاجأةً وأحصل على الحقيبة ... ولكن ما كدت أتحرك بهدوء نازلًا السلم حتى رأيت باب المنزل يُفتح بالمفتاح ... وظهر رجل وبيده مسدس وبعد قليلٍ ظهر شخص آخر ... ثم ثالث ... وانضم الثلاثة إلى الرجل الغامض وكان كلٌّ منهم يحمل حقيبة مماثلة لحقيبته السوداء ... وتصورت أن عدد الرجال سيصل إلى سبعة بعدد الكراسي التي حول المائدة ... ولكن أحدًا آخر لم يدخل.

وبدأ الأربعة يتحدثون فورًا، وكان من الواضح أنه حديثٌ غاضب؛ فقد كانوا يلوحون بأيديهم ... ولم يكن في إمكاني أن أسمع جيدًا ما يقولون ... فالسلم مرتفع ... ولكن بعض الكلمات العالية كانت تصل لي ... سمعت كلمة الموت بضع مرات ... سمعت كلمة تركيا وجبل طارق، وفرنسا، وإيطاليا، وإنجلترا، ولبنان، ومصر؛ وأسماء أشخاص «فرانشسكو» ... و«شتايبر» ... و«موريلِّي» ... وسمعت أنهم كانوا اختفى منهم ثلاثة.

وصمت «باسم» لحظات ثم مضى يقول: وعرفت اسم الرجل الغامض ... اسمه «باغوص».

ردَّت «إلهام» وهي تنظر إلى التقرير: إن اسمه كما جاء في تقرير رقم «صفر» هو «فارس فريج»!

هز «باسم» رأسه قائلًا: إنني متأكد ... فقد ظلوا ينادونه باسم «باغوص» طول مدة الاجتماع!

زبيدة: وماذا بعد ذلك يا «باسم»؟

باسم: قررت أن أقرب أكثر لأسمع، فأخذت أنزل السلالم ببطء وانتهيت إلى قرب آخر درجة في السلم ... ولكن ...

وهز «باسم» رأسه ثم مضى يقول: كانت درجة متآكلة فانكسرت محدثةً صوتًا عاليًا ووقعت على الأرض وفي أقل من ثانية كان الرجال الأربعة يُحيطون بي وقد شهروا

مسدساتهم ... وصاح «باغوص» أو «فارس فريج» بي، وقد احتقن وجهه: «كيف دخلت هنا؟» ... لم أرد فمد أحد الرجال يده وأمسك برقبتي وأوقفني، وعاد «باغوص» يقول: «كيف دخلت؟ من أنت؟» كان رأسي يدور من أثر السقطة ... ولكني بالطبع لم أُجب ... وأسرع اثنان منهم يفتشان المنزل كله ويفتحان الأبواب ويُضيئان الغرف ... لقد كانوا يظنون أن هناك شخصًا آخر معي ... وعندما تأكدوا أنني وحدي ... قرروا فض الاجتماع فورًا ... وجمعوا أوراقهم ... وأخذوا يُناقشون مصيري ... واستقر رأيهم على أن يأخذوني معهم. كانوا يتحدثون لغات مختلفة؛ فرنسية وإنجليزية وإيطالية ... ولكني فهمت ... وكانوا قد طلبوا مني أن أستدير وأضع وجهي في الحائط وهم يتناقشون، وفجأةً أحسستُ بضربة قوية تنزل على رأسي ... وهويت على الأرض مغمًى عليَّ ... قالت «ريما» في ضيق: كل هذا حدث وأنا واقفة أنتظر.

باسم: وعندما أفقت وجدت نفسي في قارب صغير سريع ... وأنعشني هواء البحر البارد، فأخذت أفكِّر فيما ينبغي عمله ... وقررت أن أظل متظاهرًا بالإغماء حتى أرى أين يذهبون ... ولكن الريح حملت لي حديثهم ... لقد قرروا التخلُّص مني ... وفهمت أنهم ذاهبون إلى باخرةٍ تنتظرهم في عرض البحر ... وأنهم سيقضون عليَّ في الباخرة، ثم يُلقونني في البحر!

وسكت «باسم» وكانت عيون الأصدقاء كلها مركزة عليه ثم رشف رشفة من كوب الشاي وقال: وبدأت أفكر فيما يجب عمله قبل أن أصبح طعامًا لسمك البحر الأبيض المتوسط. وفتحت عيني ربع فتحة فقط ... ثم نظرت حولي ... ووجدتني ملقًى في وسط القارب ... ووجدت ساقَيْ رجلٍ بجواري وأدركتُ أنه حارس.

ورشف «باسم» آخر رشفة في كوب الشاي ... ثم ابتسم للزملاء قائلًا: إنكم تستمعون لي باهتمام ... وكأنكم لم تشهدوا مغامرةً من قبل ... وأنتم جميعًا من عتاة المغامرين وقد مرَّتْ بكم مواقف أخطر من هذا!

أضاءت وجهَ «عثمان» الأسمر ابتسامةٌ واسعة كشفَتْ عن أسنانِه البيضاء وقال: قبل حضورك بدقائق قليلة كنا نتحدث عنك ... وقد كنت شخصيًّا أعتقد أنك لن تعود ... وظهورك حيًّا معجزة تستحق أن نستمع إلى كل تفاصيلها.

أشاح «باسم» بيده قائلًا: لن أضيع وقتكم ودعونا نستمع إلى تقرير رقم «صفر» إنه أهم بالتأكيد من مغامرتنا البسيطة.

إلهام: إن تقرير رقم «صفر» ليس عاجلًا جدًّا.

أحمد: وتقريرك به قدر من المعلومات تهمُّنا يا «باسم» فاستمر!

باسم: سأختصر ما حدث ... ببساطةٍ استجمعت قوتي كلها، ثم رفعت قدمَي الرجل وألقيت به في البحر ... ثم ألقيت بنفسي خلفه ... ولا بد أن من في القارب قد أدركوا ما حدث ... فقد انطلقَتْ من الزورق كشافات قوية، وسمعت بعض طلقات الرصاص، ولكني غصت فورًا تحت الماء، وسبحت مسافة طويلة قبل أن أرفع رأسي وأنظر ... كان القارب يدور في مكانه وأضواء الكشافات تبحث وشاهدتهم يلتقطون الرجل الذي أسقطته في البحر ... وغصت مرة أخرى وسبحت بكل ما أملك من قوة ... وظللت أغوص وأصعد فوق المياه حتى ابتعدت مسافة كافية ... ونظرت إلى أضواء «بيروت» البعيدة، ووجدت أنني على مسافة لا تقل عن خمسة كيلومترات، وبالطبع لم يكن أمامي إلا أن أسبح ... وظللت أسبح حتى وصلت إلى خليج «سان جورج» ... أمام مقرنا، ثم اجتزت الكورنيش جريًا وعدت إليكم ... هزَّت «ريما» رأسها قائلة: إن هذا يفسِّر لغز الغرف الفارغة المضاءة ... لقد ظننت أنك اختفيت بسحر ساحر!

باسم: لقد اختفيت بسحر «باغوص»؛ فهو رجل عنيف قوي.

إلهام: والآن إلى تقرير رقم «صفر» حتى نتمكن من أن نعد له تقريرًا عن المعلومات التي حصل عليها «باسم» ... لعله يهتم بها.

وابتسمت «إلهام» قائلة: وحتى نتمكن من أن ننام بضع ساعات فقد تجاوزت الساعة الثالثة صباحًا. التقرير: عُثر اليوم على جثة رجل مجهول الشخصية ملقاة بين أشجار الأرز في الجبل ... لم يُعثر معه على أوراق على الإطلاق ... ومن الواضح أن الجاني أو الجناة قد جردوه من كل ما يدل على شخصيته، ولكن عُثر معه في جيب البنطلون الخلفي على مفتاح ... يبدو من ثياب الرجل أنه على درجة كبيرة من الثراء ويغلب على الظن أنه أجنبي. اتضح من أبحاث المعمل الجنائي أن أسنان الرجل قد عولجت حديثًا ... ربما في صباح يوم مصرعه ... يدور البحث الآن عن أطباء الأسنان؛ فقد يدلنا هذا عن شخصيته. وسأخطركم بكل ما يحدث؛ فقد يكون له صلة بـ «فارس فريج».

وقرأت «إلهام» أوصاف الرجل المجهول.

وعندما انتهت «إلهام» من تقريرها قال «أحمد» معلقًا: يبدو أننا سنتعامل مع أشخاص غامضين، أو مجهولين لا نعرف عنهم شيئًا، وذلك أصعب أنواع الأعمال ... لقد واجهنا في المغامرات السابقة أشخاصًا خطرين، ولكنا كنا نعرفهم بالاسم والشكل ... ولكن هذه المرة الأمر مختلف.

قال «عثمان» وهو يهز كرته المطاطة ... وهي سلاح رهيب في يد الولد الأسمر القوي: إنني أيضًا لا أحب هذه المهام ... إنني أريد مهمة أجرِّب فيها عضلاتي ... وعزيزتي هذه.

وقذف بالكرة في اتجاه «أحمد» الذي أمال رأسه بسرعة قائلًا: قد تحتاج إلى عضلاتك القوية بأسرع مما تتصوَّر.

باسم: سأنام الآن فإنني مرهقٌ جدًّا!

رد الجميع: ونحن أيضًا.

وأسرعت «ريما» و«زبيدة» و«إلهام» إلى غرفهن، وقام «أحمد» إلى غرفة اللاسلكي ليرسل تقريرًا إلى رقم «صفر» بالمعلومات التي عاد بها «باسم» ... بينما اتجه «عثمان» إلى الشرفة الواسعة المطلَّة على خليج «سان جورج» وأخذ يراقب الشوارع ... وشاهد سيارةً تسير على الكورنيش ببطء ... ومضت في طريقها، ولكنه لاحظ بعد دقائق قليلة أن السيارة قد عادَت تمر مرة أخرى قرب المنزل الذي يشغلون الطابق الأعلى فيه ...

قال «عثمان» في نفسه: هل هي نزهة بريئة؟! أم أن السيارة تراقب أحدًا؟!

وأخذ «عثمان» يحدِّق البصر من مكانه المرتفع. ومرة أخرى شاهد السيارة تسير على الكورنيش ثم تعود ... وقرَّر أن يخطر «أحمد»، وظل واقفًا مكانه يراقب السيارة حتى ينتهي «أحمد» من إرسال تقريره إلى رقم «صفر»، ثم أسرع «عثمان» إلى الصالة. وكان «أحمد» يتجه إلى غرفة النوم، فقال «عثمان»: تعال دقيقة واحدة.

أحمد: ماذا هناك؟!

عثمان: سيارة تتسكع بجوار منزلنا.

وأسرع الاثنان إلى الشرفة ووقفا يراقبان السيارة وهي تتسكع قرب المنزل ... ونظر الزميلان أحدهما إلى الآخر وكان واضحًا أنهما متفقان على أن السيارة ليست بريئة تمامًا ... قد تكون مرسلةً لمراقبتهم ... قد تكون تتجول لأسبابٍ أخرى ليست خاصَّةً بهم ... المهم أن يعرفوا ماذا تفعل بجوار منزلهم.

مطاردة في الفجر

نزل «أحمد» و«عثمان» مسرعَيْنِ إلى الشارع ... حمل «أحمد» معه مسدسه، بينما اكتفى «عثمان» بكرته المطاطة الجهنمية ... وكانت السيارة المتسكعة قد مضت إلى طرف الشارع فوقفا في مدخل أحد البيوت يراقبانها ... كانت الشوارع خاليةً تمامًا في هذه الساعة المتأخرة من الليل ... وكانت الريح ما زالت تعصف، والبحر هائج، يلقي برذاذ المياه على الكورنيش الواسع.

وأخذ «أحمد» و«عثمان» يتحدثان ... هل يهاجمان السيارة، أم يكتفيان بمراقبة مَنْ فيها ... وكان في ذهن كلٍّ منهما الأوصاف الكاملة للرجال الأربعة الذين شاهدهم «باسم» في منزل قرية «عبده» ... فهل أحد ركاب السيارة منهم، ولماذا حضروا إلى هذا المكان؟ هل عرفوا مكان «باسم»؟ وكيف؟

أسئلة كثيرة كانت الإجابات عليها كلها متوقفة على اللحظات القادمة ... وعادت السيارة تقترب منهما ... ولم يكن في استطاعة من في السيارة أن يراهما، وهما مختفيان في مدخل العمارة. ومرَّت السيارة أمامهما ... كان فيها رجل واحد ... يرتدي معطفًا قد رفع ياقته فوق رقبته ... وقبعة أسدل حوافيها على وجهه ... كان من الصعب عليهما تبيُّن ملامحه.

ومضت السيارة، وتجاوزتهما ... وقال «عثمان»: ما رأيك؟

أحمد: لا أدري في الحقيقة ما ينبغي عمله ... ولست أعتقد أن لهذا الرجل صلةً بحوادث الليلة.

عثمان: ولكن هذا التسكُّع بالسيارة يبعث على الريبة.

أحمد: من يدري ... أقترح أن نذهب لإحضار سيارةٍ من «الجراج» ... وسنراقب فترة أخرى؛ فإن الفجر قد اقترب، ولا أعتقد أنه سيستمر في تسكعه، وفي إمكاننا عندما يقرر الانصراف أن نتبعه في سيارتنا ونعرف أين يُقيم ... وبعدها نستطيع معرفة حكايته.

أسرع «عثمان» إلى «جراج» العمارة التي يقيمون فيها، حيث توجد مجموعة سيارات خاصة بهم واختار سيارة سريعة ذات مقعدين، وانتظر حتى شاهد السيارة التي يركبها ذو القبعة تبتعد في جولتها. ثم أسرع إلى «أحمد» ... وركن السيارة أمام العمارة التي كانا يختفيان في مدخلها.

وقف الصديقان لحظات. وعادت السيارة تمر أمامهما ... وفجأة ظهرت سيارةٌ من أحد الشوارع الجانبية وانحرفت إلى الكورنيش، ثم مضَتْ مسرعة، وسرعان ما كانت السيارة المتسكعة تتبعها، وفي لحظاتٍ كان الصديقان يقفزان إلى سيارتهما، وينطلقان خلف السيارتَيْنِ اللتين كانتا تجتازان الكورنيش بسرعةٍ رهيبة.

تولَّى «أحمد» القيادة، فأبقى مسافة مناسبة بينه وبين السيارة التي أمامه ... ومضت السيارات الثلاث تخطف الكورنيش خطفًا ... ولم يكن في ذهن الصديقين شيءٌ معين سوى أنهما مشتركان في مطاردةٍ لا يعرفان كيف تنتهي.

كانت السيارة المتسكعة صفراء، وكانت السيارة الأمامية سوداء، وكانت سيارة «أحمد» و«عثمان» حمراء ... فبدت السيارات الثلاث وكأنهم شريط ملون يلتوي على الكورنيش في الفجر، واستمرَّت المطاردة المثيرة من «مينة الحصن» إلى «جادة باريس» ... والعجلات «تزيق» على الأرض من فرط السرعة ... ثم انحرفت السيارة السوداء إلى كورنيش «دي جول» وانحرفت وراءها السيارة الصفراء ... وقبل أن تنحرف سيارة الصديقين هي الأخرى ... سمعا صوت طلقات رصاص تدوي ... وصوت صدام ... وعندما انحرفت سيارتهما إلى كورنيش «دي جول» كانت السيارة الصفراء مقلوبة على ظهرها ... وما زالت عجلاتها تدور ... ولم يكن للسيارة السوداء أثر.

أوقف «أحمد» السيارة ونزل الصديقان مسرعين ... وكان صوت طلقات الرصاص والصدام قد لفت أنظار بعض سكان البيوت المجاورة ... وسمعا صوت سيارة شرطة تأتي من بعيد ... وأسرع «أحمد» إلى سائق السيارة ... كان نصفه الأعلى منطرحًا خارج السيارة ... وقد سقطت من جيبه محفظةٌ لم يتردَّد «أحمد» في التقاطها ووضعها في جيبه ... ووصلت سيارة الشرطة ... وتجمع عددٌ من الناس ... وأشار «أحمد» إلى «عثمان»، فانسحب في هدوء فلم يكونا على استعداد للدخول في سؤال وجواب مع الشرطة.

واستقلَّا سيارتهما وابتعدا ... ولكنهما سمعا في تلك اللحظة أحد رجال الشرطة ينادي عليهما ... فتردد «أحمد» ... ثم أطلق للسيارة العنان ... وعندما تحركت سيارة رجال الشرطة خلفهما ... كانا قد اختفيا عن العيون ...

فضَّل «أحمد» ألَّا يذهب إلى مقر الشياطين في شارع «أحمد شوقي» مباشرةً، فوضع السيارة في جراج عمومي، وفي غفلةٍ من حارس الجراج، استبدل «عثمان» أرقام السيارة بأرقام أخرى موجودة دائمًا في سيارات الشياطين الـ ١٣ للتمويه.

كانت «بيروت» تستقبل الصباح والصديقان يجلسان على أحد المطاعم الصغيرة يفطران ويتناولان الشاي ... وقال «عثمان»: ألَا نبحث في المحفظة عن شخصية هذا الرجل؟

أحمد: ليس الآن ... بعد أن نعود إلى المقر.

وبعد أن شربا الشاي استقلَّا تاكسيًا إلى شارع مجاور لمقر الشياطين ثم سارا على الأقدام حتى العمارة.

وجدا «إلهام» ما زالت مستيقظةً وعلى وجهها أمارات القلق، ولم تكد تراهما حتى قالت: أين كنتما؟!

وأسرعت إلى «أحمد» ثم توقَّفَت وقد ظهر على وجهها الوسيم علامات الخجل، قال «أحمد»: رحلة بسيطة على الكورنيش في الفجر.

إلهام: إن رقم «صفر» لا يهدأ ... لقد أرسل تقريرًا آخر منذ ساعةٍ تقريبًا!

أحمد: وماذا في التقرير؟!

إلهام: إنه عن «فارس فريج» أو «باغوص» كما يسمِّيه «باسم».

ومضت «إلهام» إلى غرفة اللاسلكي وعادَتْ بملف التقارير الأخضر ... ثم فتحته ومضَتْ تقرأ: ... هذه كل المعلومات التي وصلتنا عن «فارس فريج» ... إنه مهاجر لبناني قضى أغلب عمره في البرازيل حيث كوَّن ثروة ضخمةً من تجارة البن، ثم ذهب إلى اليونان حيث اشتغل بعمليات النقل البحري، وأصبح يملك أسطولًا ضخمًا من السفن، وقد حضر إلى «بيروت» ليفتتح فرعًا لشركة النقل البحري فيها مع عددٍ من الشخصيات اللبنانية ... ويصل رأسمال الشركة إلى بضعة ملايين من الليرات.

قال «عثمان»: الذي لم أفهمه حتى الآن لماذا طلب رقم «صفر» مراقبته ... إن المعلومات التي أوردها التقرير لا تدل على أن للرجل نشاطًا يستحقُّ المراقبة؟!

قالت «إلهام»: لقد رد التقرير على هذه النقطة. ومضت تقرأ: ... لقد طلبت منكم مراقبته؛ لأن جزءًا من النقود التي دفع منها حساب الفندق الذي نزل فيه كانت مزورة ... وكلها من فئة المائة دولار!

عثمان: هذا يوضِّح بعض الأمور ... ويعني أننا وراء عصابة تزييف ...

أخرج «أحمد» المحفظة من جيبه، فقالت «إلهام»: ما هذا؟ هل كنتم في مهمة نشل؟

أحمد: تقريبًا ... ولكننا سنُرسل هذه المحفظة إلى رقم «صفر» بعد الاطلاع على محتوياتها!

ويجلس الثلاثة حول مائدة مستديرة في وسط الصالة ... وكانت الشمس قد أشرقت واستيقظ بقية الشياطين.

وفتح «أحمد» المحفظة وبدأ يُخرج ما فيها ... جواز سفر باسم «كوستا. ج. ليونادس» يوناني الجنسية. ٤٥ سنة ... المهنة مخبر سري خاص ... أوراق نقدية ... عملات مختلفة. أوراق خاصة. صورة صغيرة لرجلٍ شرس الشكل.

وكان بقية الشياطين قد انضموا إلى الثلاثة ... «باسم» وقد عادت إليه حيويته ... و«ريما» ... وعندما أمسك «باسم» بالصورة صاح: هذه صورة أحد الرجال الأربعة ... إنه المدعو «موريلِّي» على الأغلب.

قال «أحمد»: إذن فإن «كوستا» ... على علاقةٍ ما بمجموعة الرجال السبعة ... ولكن ما هي العلاقة بين مخبر سري خاص ورجال الأعمال هؤلاء؟

عثمان: عصابة تزييف ... ومخبر يتحرَّى عنهم ...

أحمد: ولكن عصابات التزييف عادةً من اختصاص رجال الشرطة الحكوميين ... إن المخبر السري الخاص عادةً ما يستأجره الأفراد ... ولا تستأجره الحكومات.

سادَتْ لحظة صمت ثم عاد «أحمد» يُخرج بقية الأوراق ... كانت هناك خريطةٌ صغيرة تشمل فرنسا وإنجلترا وإسبانيا، وحوض البحر المتوسط ... ولاحظ «أحمد» أن هناك علاماتٍ بالقلم على بعض المناطق ... ولاحظ أن بعض هذه العلامات في المياه خاصة في خليج «بسكاي» الذي يقع في شمال إسبانيا.

قال «أحمد»: إن هذه الخريطة تذكِّرنا بما قاله «باسم» من أحاديث الرجال الأربعة؛ فأسماء الدول التي سمعها «باسم» ... واردة كلها تقريبًا على هذه الخريطة ... ومن المؤكد إذن أن «كوستا» كان خلف نفس الرجال الذين شاهدهم «باسم» في المنزل المهجور.

ريما: إن المعلومات في هذه القضية متباعدة، ومتناثرة، وغامضة. وأعتقد أننا يجب أن نُعيد ترتيب هذه القصة كلها حتى يمكن وضع تصور عام لما نفعله.

ساد الصمت لحظات ثم قال «أحمد»: إذا سمحتم لنا بأن ننام بضع ساعات؛ فقد نستطيع بعدها أن نستعيد نشاطنا وأن نجلس في حلقة بحث نتمكن خلالها من جمع خيوط هذه القضية.

في مساء ذلك اليوم جلس ستةٌ من الشياطين الـ ١٣ وأمامهم كل المعلومات والتقارير لفحص الموضوع كله.

وقال «أحمد»: سنرتب الحوادث ... لا كما وصلت إلينا ... ولكن كما نتخيَّلها حتى تكون الأمور أكثر وضوحًا ... وصمت قليلًا ومضى يقول: هناك سبعة رجال يقومون بنشاطٍ غير قانوني ... وفي الأغلب هو تزييف ... وهناك مخبر خاص يتابعهم ... وحضر هؤلاء الرجال إلى «بيروت» ربما بهدف ترويج ما معهم من نقود ... وطلب منا رقم «صفر» مراقبة أحدهم وهو «باغوص» أو «فارس فريج» واستطاع «باسم» و«ريما» أن يتابعاه إلى منزلٍ في قرية «عبده» حيث عرف «باسم» بعضَ أسماء الرجال السبعة.

ومن ناحيةٍ أخرى كان «كوستا» يُراقب نفس الرجال ... ولكنهم استطاعوا الإفلات منه بعد إطلاق الرصاص عليه ... هل الصورة واضحة؟!

إلهام: هناك أسئلة ... منها مثلًا الرجل الثري القتيل الذي أرسل لنا عنه رقم «صفر» تقريرًا ... والذي عثروا في جيبه على مفتاح ... هل لهذا الرجل علاقة بالقضية؟

عثمان: وهذه الإشارات الموجودة على الخريطة التي عُثر عليها في محفظة «كوستا» ماذا تعني؟!

أحمد: وهناك أسئلة أخرى ... ولكن الحقيقة أن السؤال الذي يهمني أكثر ... هو كيف سنشتبك مع مجموعة الرجال هذه؟!

إلهام: عندي اقتراح!

والتفت الشياطين الستة إليها فقالت: لماذا لا يحاول واحدٌ منا أن يلتحق بالعمل في شركة «باغوص»؟ إن وجود واحد منا هناك سيجعلنا أقدر على الاطلاع على ما يدور في هذه الشركة من نشاط ... هل هو نشاط قانوني أم غير ذلك؟!

وهز الشياطين الستة رأسهم موافقين.

الموت بلا اعتراف

كان اليوم التالي في حياة الشياطين الستة حافلًا بالنشاط ... فقد أرسلوا تقريرًا إلى رقم «صفر» بمعلوماتهم واستنتاجاتهم، وأرسلوا له محفظة «كوستا» التي نشرت الجرائد اللبنانية نبأ مصرعه ... وأرسل لهم رقم «صفر» المفتاح الذي وُجد في جيب الرجل القتيل ... وقدمت «إلهام» طلبًا للالتحاق بشركة «النجمة الزرقاء» التي يرأسها «فارس فريج»، وقد وعدهم رقم «صفر» بمساعدتها للالتحاق بهذا العمل.

وانقسم الستة إلى ثلاثة مجموعات للعمل ... «إلهام» و«أحمد» لمتابعة تحرُّكات «فارس»، و«باسم» و«ريما» لمنزل قرية «عبده»، و«عثمان» و«زبيدة» للطوارئ والمساعدة.

قضوا جميعًا الليل في المنزل ثم خرج «أحمد» و«إلهام» مبكرين، وأمضى الأربعة الباقون طوال اليوم في الشقة. وفي المساء تحركت سيارةٌ تحمل «باسم» و«ريما» إلى قرية «عبده» ومعهما المفتاح الذي وُجد في جيب الرجل القتيل.

كانا يريدان أن يعرفا، بالاتفاق مع رقم «صفر»، إذا كان المفتاح يناسب باب المنزل أم لا ...

وبعد نحو ساعةٍ وصلا إلى القرية الهادئة، وقد هبط الظلام ... وتركا السيارة في نفس المكان الذي تركاها فيه أول مرة، ثم سارا على الأقدام في محاذاة البحر حتى وصلا إلى المنزل ... ووقفا يرقبانه من بعيد ... كان المنزل غارقًا في الظلام ... وانتظرا فترة قبل أن يتقدما من المنزل الذي كان بعيدًا عن القرية ... بمسافةٍ كبيرة ... وتقدما بهدوء تحت ستار الظلام. ومد «باسم» يده بالمفتاح ... ولم يستطع أن يمنع نفسه من رعدة سَرَتْ في بدنه عندما دار المفتاح في القفل، وانفتح الباب ... لقد تأكد حينذاك أن الرجل الذي قُتل كان واحدًا من مجموعة الرجال السبعة التي تتخذ من هذا المنزل مكانًا للاجتماع، فلماذا قُتل؟! ومن الذي قتله؟!

ورغم أنه لم يكن هناك أحدٌ بجوارهما فقد همس «باسم» لـ «ريما» قائلًا: ما رأيكِ؟ هل ندخل؟

ريما: إن التعليمات التي لدينا من رقم «صفر» أن نجرِّب المفتاح فقط!

باسم: ولماذا لا نجرِّب الدخول؟ ونرى ما حدث في المنزل ... ربما يكونون قد اجتمعوا مرةً أخرى!

وفتح الباب ودخل، وخلفه دخلت «ريما» وأغلقت الباب، ووقفا لحظاتٍ في الظلام يستمعان ... لم يكن هناك صوتٌ في المنزل ... ومد «باسم» يده يبحث عن مفتاح النور، ولكن قبل أن تصل يده إلى المفتاح كان ضوء قوي قد غمر المكان وبهر عيونهما ... وسمعا صوتًا يقول: كنت متأكدًا أنك ستعود!

وعندما ألفت عيونهما النور ... رأَتْ «ريما» ورأى «باسم» ثلاثة رجال. كان أحدهم «باغوص» ... أما الشخصان الآخران فلم يكن «باسم» قد رآهما بين الرجال الأربعة ليلة الاجتماع.

كان «باغوص» يقف عند آخر درجةٍ من السلم الموصل إلى الطابق الأول من المنزل واضعًا يده في جيبه ... أما الرجلان الآخران فكانا يقفان بجوار الحائط كلٌّ منهما في جانب، وقد رفع كلٌّ منهما في يده مسدسًا ضخمًا أشبه بالمدفع.

عاد «باغوص» يقول: كانت حركة بارعة هذه التي قُمتَ بها في القارب. ومن الواضح أنك مدربٌ على حماية نفسك ... ولكن أنصحك هذه المرة ألَّا تحاول ...

وأشار «باغوص» إلى الرجلَيْن وقال: إنهما من أبرع الرماة ولا أظنُّك ستكون أنت أو صديقتك الظريفة هدفًا صعبًا.

ونزل «باغوص» درجة السلم الباقية وتقدَّم إلى الصالة حيث مائدة الاجتماعات ولاحظ «باسم» على الفور أن المائدة لم يبقَ حولها إلا أربعة مقاعد فقط ... فلماذا نقصت المقاعد الثلاثة؟!

كانت «ريما» تفكِّر بسرعة، لقد وقعا في فخٍّ محكم لا فكاك منه ... ولاحظَت الشراسة الواضحة على وجهَيْ حاملي المسدسين وأدركَت أن أي محاولةٍ للهرب لن تنجح ... وجالَت ببصرها في اتجاه المكان تبحث عن أي احتمالٍ للخروج، ولكن الأبواب والنوافذ كلها كانت مغلقةً بإحكام ...

جلس «باغوص» على أحد الكراسي، ودعا «ريما» و«باسم» للجلوس ... فجلسا، وقال «باغوص» وقد ضاقت عيناه، فأصبحتا كعيني الثعبان: هذه ثاني مرة نلتقي فيها وأظنك توافقني على أن ذلك لم يتم بالصدفة.

لم يرد «باسم»، فاستمر «باغوص» يقول: وفي نفس الوقت أنت صغير السن فأنت لا تعمل وحدك ... ولا بد أن هناك من يستخدمك ...

وصمت «باغوص» لحظاتٍ ثم قال، وقد مال بوجهه ناحية «باسم» حتى كان رأساهما يلتصقان: ثم هذا المفتاح الذي فتحت به الباب ... لعلك ستقول لي مثلًا إنك وجدته في الشارع ...؟!

واعتدل «باغوص» في جلسته وأخذ ينظر إلى «باسم» الذي كان يفكر بسرعة ... كان حديث «باغوص» واضحًا جدًّا ... ومنطقيًّا جدًّا بحيث لا يمكن اللف أو الدوران معه ... وشمل «باسم» المكان ببصره ... وكما حدَّثت «ريما» نفسها حدَّث نفسه أيضًا ... إنه لا سبيل للفرار مع وجود المسدسَيْن ... ومن خلال هذه الأبواب والنوافذ المغلقة ... قال «باغوص»: هل سترُدُّ؟!

ولدهشة «ريما» رد «باسم» ببساطة قائلًا: إنني أوافقك على كل ما قلت؛ فلقاؤنا الأول لم يكن بالصدفة ... وهذا اللقاء بالطبع ليس وليد الصدفة أيضًا ... كذلك المفتاح الذي فتحت به الباب لم أجده في الشارع.

ابتسم «باغوص» قائلًا: إنك ولد عاقل بقدر ما أنت شجاع ... والآن من الذي يستخدمك؟ من الذي طلب منك مطاردتي أو مراقبتي؟!

مرةً أخرى رد «باسم» بسرعة: هذا ما لن أستطيع أن أقوله لك؟!

أشعل «باغوص» سيجارة ومال إلى الخلف ووضع ساقًا على ساق ثم قال: إنك يا بني لا تعرفني ... أقصد لا تعرف حقيقتي ... وقليل في هذا العالم من يعرفها ... بل إن من يعرفها يحكم على نفسه بالموت ... ولكن لا بأس أن تعرف أنني رجل لي نشاطي الخاص ... وهذا النشاط يدور حول ملايين الجنيهات. وأنا أدافع عن أموالي بكل وسيلة ... ولا أظنني سأتركك تعرض أعمالي ... وربما حياتي للخطر ... لهذا فإنني أتمنى لك أن تقول الحقيقة ... وتقولها فورًا ... وإلا فإنني سأنتزعها منك ...

ثم ابتسم والتفت إلى «ريما» وقال: أو أنتزعها من صديقتك الصغيرة.

أحس «باسم» بهذه الكلمات وكأنها طعنات تُصيبه في الصميم. لقد كان على استعداد لأن يفعل أي شيء، أو يتحمَّل أي تعذيبٍ بدون أن ينطق بحرفٍ عن حقيقة الشياطين الـ ١٣ وزعيمهم السري ... ولكن المشكلة هي «ريما» ...

وكانت «ريما» ترقب «باسم» ... وهو يفكِّر وكانت تعرف ما يفكر فيه ... وسرعان ما تدخَّلت لإنقاذه من أفكاره ومخاوفه قائلة موجهةً حديثها إلى «باغوص»: كما أننا لا

نعرف حقيقتك أيها السيد ... فأنت أيضًا لا تعرف حقيقتنا وأظن أنك تضيِّع وقتك عبثًا إذا تصوَّرت أنك ستنتزع مني ... أو من زميلي كلمةً واحدة لا نريد أن نقولها!

رد «باغوص» بكلمةٍ واحدة: سنرى!

ووقف وأشار عليهما بالوقوف، فوقفا ... ثم سار وهما خلفه، وخلفهم حاملا المسدسين. وتوقَّف «باغوص» أمام أحد الأبواب المغلقة في الصالة وأخرج سلسلةً من المفاتيح فتحه بواحد منها، ودخل ودخلا خلفه ... ووجدا أمامهما غرفة عادية ... تذكرت «ريما» أنها دخلتها عندما كانت تبحث عن «باسم»، كان في وسطها مائدةٌ مستديرة، تقدَّم «باغوص» منها ثم أدارها فدارت ببساطة ... وانزلقت من مكانها، فوجدا سلمًا ينزل إلى ما تحت مستوى الأرض ونزل «باغوص» ونزلا خلفه وسمعا وهما ينزلان صوتًا كالهدير يأتي من بعيد ... وانتهى السلم ومضيا في دهليز نصف مضاء ... وقبل أن يصلا إلى نهايته وقف «باغوص» ثم ضغط على ذراع بارزة في الحائط، فدار جزءٌ من الحائط على محوره وبدَتْ أمامهما غرفة متوسطة لا نافذة فيها ولا باب وكأنها صندوق مغلق.

وقال «باغوص»: هذه الغرفة اعترف فيها قبلكم الكثيرون ... وأعتقد أنكما ستعترفان إذا كان قد بقي لكما ذرة من العقل ... إن هذه الغرفة تحت مستوى البحر، وبها فتحات سرية يدخل منها الماء تدريجيًّا حتى يغمر الغرفة كلها وستغرقان تدريجيًّا وتتعذبان ... وأنني أنذركما لآخر مرة ... أجيبا عن أسئلتي!

قال «باسم»: وإذا اعترفنا ماذا ستفعل بنا؟ في الأغلب سنلقى مصرعنا بطريقةٍ أخرى كما حدث لـ «كوستا».

لم يكد «باغوص» يسمع كلمة «كوستا» حتى التفت إليهما وفي عينيه نظرة كالنار وصاح:

هل تعرفان «كوستا»؟!

ثم خبط رأسه بيده وقال: أنتما إذن اللذان هربا من رجال الشرطة ... لقد كنتما تتبعان سيارتنا ... ولكن رجال الشرطة قالوا إن أحدكما كان أسمر اللون ... أنتم إذن أكثر من اثنين وأنتم أيضًا لستم من الشرطة!

هز «باسم» رأسه قائلًا: هذا سؤال لا إجابة عليه ... ولكن لعل ذلك يدلُّك على أننا لسنا وحدنا ... وربما كنا أكثر مما تتصوَّر. قال «باغوص»: لا يهمني كم أنتم ما دمتم لستم من الشرطة ... إن ما يهمني أن أعرفه هو إلى أي منظمةٍ في هذا العالم تنتمون ... ومن الأفضل لكما أن تتحدَّثا!

لم يرد «باسم» ولا «ريما» فأشار لهما «باغوص» بالدخول. وألقى «باسم» نظره خلفه وشاهد الحارسان ينظران إليه كالذئاب المفترسة، فدخل الغرفة ودخلت «ريما» خلفه وحرك «باغوص» الذراع في الحائط ... وأخذ الباب السري يمضي في هدوء حتى أُغلق ...

وقفت «ريما» و«باسم» في الظلام الكثيف للغرفة صامتَيْن ... ثم قال «باسم» هامسًا: إنهم لم يفتشونا ...

ثم أضاف: سنتحدث بصوتٍ منخفضٍ ... فلا بد أن هناك فتحات يستمعون منها إلينا ... ومضت لحظات ثم مد «باسم» يده في جيبه وأخرج بطارية صغيرة أضاءها وبدد ضوءُها الخفيف بعض الظلام المتراكم ... وأدار «باسم» البطارية في أنحاء الغرفة، ثم مضى يجس حوائطها ... وانحنى على الأرض وأخذ يجس زوايا الغرفة، ثم أماكن التقاء الحوائط بالأرض ... وكانت «ريما» تتبعه وبيدها بطارية هي الأخرى، وقالت «ريما»: هذا هو المكان الذي ستتسرب منه المياه ...

ثم أضافت: إنها مغطاةٌ بالسلك وممتد بطول الحائط ومن الصعب إغلاقها.

وأشارَتْ إلى فتحةٍ رفيعةٍ مستطيلةٍ في نهاية أحد الحوائط عند التقائه بالأرض.

تحسَّس «باسم» الفتحة الطويلة ثم قال: بل من المستحيل فهي بعرض الحائط كله.

ولم يتم جملته حتى سمعا صوتًا كالهدير ... ثم اندفع تيار من الهواء البارد قادمًا من الفتحة تبعه على الفور خيط من الماء قادمًا من الفتحة العريضة أسفل الحائط.

قال «باسم»: لقد بدأ الماء يتدفق ...

ريما: كم من الوقت يكفي لملء الغرفة بالماء؟

باسم: لا أدري ... إن ذلك متوقفٌ بالطبع على سرعة تدفُّق الماء.

وأخذت المياه ترتفع تدريجيًّا في الغرفة المغلقة.

براكودا ٧

كانت فرقة الطوارئ المكوَّنة من «عثمان» و«زبيدة» يجلسان في شرفة مقر الشياطين الـ ١٣ في بيروت في انتظار عودة «باسم» و«ريما» ... وقد قدرا أن الرحلة إلى قرية «عبده» والعودة منها سوف تستغرق نحو ساعتين ... ولكن مضت ثلاث ساعات دون أن يعود «باسم» و«ريما» ... وكان «أحمد» و«إلهام» قد خرجا للتخلص من السيارة الحمراء التي نشرت الشرطة أوصافها بعد مصرع «كوستا» ... وللقيام بمراقبة مقر شركة «النجمة الزرقاء» في شارع «أستراليا».

قال «عثمان»: أظن أننا يجب أن نتحرك.

زبيدة: فعلًا ... لقد تأخَّرا.

وقام «عثمان» مسرعًا، فحمل كرته المطاطة الجهنمية ... ونزل الاثنان بعد أن تركا رسالةً إلى «أحمد» و«إلهام» بأنهما ذاهبان إلى قرية «عبده» لمعرفة سبب تأخُّر «ريما» و«باسم».

ركبا سيارة سبور ذات مقعدين ... وجلست «زبيدة» إلى عجلة القيادة، وأطلقت للسيارة العنان ... وبعد أن خرجا من بيروت المزدحمة، وأخذا طريق الجبل ضاعفت «زبيدة» من سرعة السيارة. وبعد نحو ساعة أشرفا على القرية الصغيرة، وكانا كلاهما يعرف أوصاف المنزل وسرعان ما شاهداه على البعد في الظلام، فأخذا يقتربان في هدوء ... وقررا أن يركنا السيارة بعيدًا حتى لا يكتشف حضورهما أحدٌ ... واختارا مكانًا بين الأشجار ... وكانت مصادفة مدهشة أن اختارا نفس المكان الذي أوقف فيه «باسم» و«ريما» سيارتهما ... وقال «عثمان»: هذا يعني أنهما ما زالا في المنزل ... أو على الأقل لم يغادرا القرية بعد.

وتسلَّلا معًا تحت الأشجار في اتجاه المنزل ... كان غارقًا في الظلام، وقالت «زبيدة»: «يمكننا الدخول عن طريق الشرفة المفتوحة على البحر ... كما دخل «باسم» و«ريما» من قبل.» ووافق «عثمان»، وتسلَّقا صخور الشاطئ، وأخذا يقتربان من المنزل وهدير ورزاز الماء يصلان إليهما ... ولم يكادا يصلان إلى الممر المؤدي من الشاطئ إلى المنزل حتى شاهدا شبح رجل يتمشى ذهابًا وإيابًا، وأمسكت «زبيدة» بذراع «عثمان» ... وأشارت ناحية البحر ... كان ثمة ضوء يقترب سائرًا فوق الأمواج. قالت «زبيدة»: قارب؟!

عثمان: نعم ... هناك أشخاص قادمون إلى المنزل على ما أظن ...

زبيدة: وهل سنقتحم المنزل الآن؟

عثمان: سننتظر حتى يصل القارب ونرى ما يحدث.

وقبعا بجوار صخرة يتابعان ما يجري ... واقترب القارب ووقف ونزل شخصان، تحدَّثا مع الحارس المتجول ثم اتجها إلى صخرةٍ تغطيها الأشجار الكثيفة، واختفيا خلفها.

همس «عثمان»: هناك مدخل سري من ناحية البحر. سننتظر لحظاتٍ ثم أهاجم الحارس.

ومضت اللحظات بطيئة، وتحرَّكا معًا، وقال «عثمان»: سأهاجمه وحدي.

وقفز «عثمان» ... بخفة الفهد فوق الصخور ... ثم زحف على يديه وقدميه في هدوء ... ولاحظ أن الحارس يمسك مدفعًا رشاشًا يضعه على كتفه ... وفكر «عثمان» أن يستخدم كرته المطاطة الجهنمية ... ولكنه خشي أن يُخطئ فريسته في الظلام ... وفضَّل أن يلتحم معه ... واستجمع قوته ثم قفز في الهواء ونزل أمام الحارس ... كان «عثمان» أسمر فبدا كأنه قطعةٌ من الظلام تتحرَّك ... وذهل الحارس ثواني قليلةً كانت كافية لتنطلق ذراع «عثمان» في لكمةٍ ساحقة هبطت على وجه الرجل المذهول كالمطرقة ... وسقط على الأرض ... وأسرع «عثمان» يسحبه جانبًا وأخفاه بين بعض الأعشاب، ثم جرده من مدفعه الرشاش.

كانت «زبيدة» ترقب ما يحدث ... وأدركت أن مهمة «عثمان» انتهت عندما أطلق صفيرًا كالوطواط، وهي علامة متفق عليها بين الشياطين. فأسرعت إليه ... واتجها ناحية الصخرة التي اختفى خلفها الرجلان اللذان قدما من البحر ... وأعطى «عثمان» لـ «زبيدة» المدفع الرشاش، وقال: اتبعيني على مبعدة.

أخذ «عثمان» يفحص الأشجار المحيطة بالصخرة باحثًا عن المنفذ الذي دخل منه الرجلان ... ولكن عبثًا حاول ... فقد كان الأشجار ملتفة بكثافة حول الصخرة لا تسمح

بالفحص الدقيق ... وكان الظلام سائدًا ... ولا شيء يمكن أن يدل «عثمان» على الباب السري الذي نفذ منه الرجلان ... وفجأة شاهد «عثمان» جزءًا من الأشجار يرتفع إلى فوق، ثم شاهد شخصًا يبرز أمامه ... مرة أخرى استفاد «عثمان» من سمرته، فلم يستطع الرجل مشاهدته ... وخطا الرجل إلى الأمام، ثم تبعه رجل آخر وعادَت الأشجار إلى مكانها تدريجيًّا ... وأسرع «عثمان» بخفةٍ شديدةٍ يضع غصنًا سميكًا تحت الباب ليبقى مفتوحًا ... فقد تأكَّد أن الباب يُفتح من الداخل وليس من الخارج.

سمع الرجلان طرقعة الغصن عندما أغلق عليه الباب فالتفتا ... ولاذ «عثمان» بالصمت والهدوء في مكانه محتميًا بالظلام والشجر ... وقال أحد الرجلَيْن: لقد سمعت شيئًا يتكسر.

رد الآخر: لعله غصن شجرة وقع ... هيا بنا.

عاد الأول يقول: ولكن أين الحارس؟

وأخذ الرجلان يتلفتان حولهما ... ثم وضع كلٌّ منهما يده في جيبه وأخرج مسدسًا وقال أحدهما: إنني أشعر بشيءٍ مريبٍ يدور حولنا ... هل نعود؟

قال الآخر: إن السفينة في انتظارنا وستقلع بعد قليل ... هيا بنا ننادي الحارس ... فقد يكون هنا أو هناك ...

سار أحدهما في المقدمة ... والآخر خلفه ... وكانت فرصة «عثمان» ... انقضَّ على الأخير ولف ذراعه حول رقبته حتى لا يصيح ... ثم هوى بقبضته على رأسه، فتهاوى بين يديه ... وفجأةً التفت الأول ليتحدث مع زميله ... فلم يجده ... فرفع مسدسه إلى الأمام وصاح: فرانشسكو؟!

وامتدت ذراع «عثمان» من الظلام، فرفعت المسدس إلى فوق ... ثم انطلقت يده الأخرى لتُصيب فك الرجل ... ولكنه أحنى رأسه ليتقي اللكمة ... واشتبك الاثنان في صراعٍ عنيف ... كانت مهمة «عثمان» الأولى هي إبعاد المسدس عنه ومنع الرجل من إطلاقه حتى لا يلفت الأنظار وهكذا لوى ذراع الرجل بقوةٍ حتى صاح الآخر من الألم، واضطر إلى إسقاط المسدس ... وسقطا على الأرض يتدحرجان ... ولم تكن «زبيدة» بعيدةً عمَّا يحدث ... فاقتربت أكثر، وأعدَّت المدفع الرشاش للإطلاق ... ولكنا لم تكن في حاجة إلى ذلك ... فقد كان «عثمان» القوي قد استلقى على ظهره، وحمل الرجل على قدميه وقذفه بعيدًا ... ثم قفز واقفًا وقبل أن يفيق الرجل من سقطته كان «عثمان» قد أوقفه وأداره حول نفسه عدة مراتٍ بسرعة، ثم بضربةٍ من ضربات الكاراتيه الرهيبة وجَّه إلى رأسه ضربة بقدمه أوقعته كقطعة خشبٍ على الأرض ... وسرعان ما حمله «عثمان» وفك رباط رقبته وقيَّدَه به، وكذلك فعل بالآخر ...

وعندما رفع «عثمان» رأسه شاهد «زبيدة» تقف فوق رأسه وبيدها المدفع قائلة: إنك لم تترك لي فرصةً للعمل.

رد «عثمان» وقد امتلأَتْ عروقه بدماء المغامرة: ما زال أمامنا عملٌ كثيرٌ وأرجو أن تستمري في تأمين ظهري ...

زبيدة: لقد تمرنا جميعًا على عمليات الاقتحام والتأمين ... فلماذا لا أتقدَّم أنا للأمام؟

قال «عثمان» مبتسمًا: لأنهم لا يَرَوْنني في الظلام ... وهذه ميزةٌ لمفاجأة الخصم.

ووصلا إلى مدخل الباب السري ... كان الغصن محطمًا، ولكنه أبقى الباب مفتوحًا ... وكان واضحًا أنه يفتح إلى أعلى. ومد «عثمان» يديه إلى فتحة الباب ثم استجمع قوة عضلاته مرة واحدة ورفع الباب الذي أخذ يرتفع تدريجيًّا ... بينما «زبيدة» تمد فوهة المدفع في اتجاه الباب بانتظار أية مفاجآت.

ولكن الباب انفتح دون أن يحدث شيء ... كانت فتحة ترتفع عن الأرض حوالي متر فقط، فانحنى «عثمان» ونظر إلى الداخل ... كان أمامه دهليز طويل مضاء إضاءة خافتة ... ولم يكن فيه أحد ... وأشار إلى «زبيدة» ودخلا معًا ... وحسب التدريبات سار كلٌّ منهما بجوار جدار ... وتقدَّما بحذرٍ ... وبين فترة وأخرى كانا يقفان ويستمعان ... ثم يمضيان حتى وصلا إلى نهاية الدهليز ... فوجدا دهليزًا آخر يتقاطع معه ... فوقف «عثمان» ملتصقًا بالجدار ونظر ... كان الدهليز الثاني أقصر من الأول ... وكان ثمة عددٌ من الرجال يفرغون شحناتٍ من صناديق صغيرة ويرصفونها بجوار الجدار ... همس «عثمان» لـ «زبيدة» بما يرى ثم قال: سننتظر ونرى ما يحدث.

وظلَّا واقفَيْن ... وكانت «زبيدة» تفكِّر في نفس الشيء الذي يفكِّر فيه «عثمان»: أين «ريما» و«باسم» في هذه الدهاليز ... وما هي هذه الشحنات ... هل هي رزم من الأوراق المالية المزيفة ... وهل تُعد للترويج في لبنان؟

ومضَتْ فترة وانتهى الرجال من عملهم وسمعهم «عثمان» و«زبيدة» وهم يتحدثون ... ثم اختفوا من نهاية الدهليز.

وتقدَّم «عثمان» وخلفه «زبيدة» على حذرٍ إلى حيث كانت الصناديق ... لم يكن عليها أي إشارةٍ عمَّا تحوي ... وانحنى «عثمان» ... على الشحنات المفرغة بجوار الحائط، ولم يكد يمسك لفةً منها حتى قال: متفجرات.

زبيدة: شيء غريب!

عثمان: هل ينوون القيام بعمليات تخريب في لبنان؟

زبيدة: أو ينسفون هذا المنزل حتى لا يعرف أحدٌ ماذا كان يدور فيه؟

عثمان: شيء محتمل ... ومعناه موت «ريما» و«باسم» ... تحت الأنقاض؛ ولهذا يجب أن نتصرَّف بسرعة.

حيث يقفان ... كان هناك سلم يصعد من الدهليز إلى أعلى ... ولم يتردد «عثمان» ... وأخذ يصعد الدرج على مهل وخلفه «زبيدة». كان في نهاية السلم باب على اليمين ... يخرج منه خيط من الضوء، وأصوات أشخاص يتحدَّثون.

وقف «عثمان» وأشار لـ «زبيدة» أن تقف حيث هي وأخذ ينصت ... كانت ثمة حديث متصل عن عملية معينة اسمها «براكودا» رقم «٧» ... وكان أحد الأشخاص يرفع صوته أكثر من الآخرين قائلًا: لقد اخترنا لبنان للعملية رقم «٧» وهي خاصة بـ «موريلِّي» ... فإذا نجحَت هذه العملية فسوف نقوم باقتسام الأرباح كل على أربعة ... بعد أن مات «يوشيرو» و«جافين» و«سلامندر» ... وكل واحدٍ من الأربعة الباقين سوف يعطي أعوانه المبالغ التي يستحقونها.

قال رجل آخر: وماذا بعد براكودا «٧»؟

رد صاحب الصوت المرتفع: لقد كان اتفاقنا على سبع عمليات ... أتممنا ستة بنجاح وهذه هي السابعة ... فإذا شئتم أن نبدأ من جديد فليس عندي مانع وسوف تكون مصر هي المكان الملائم للعمليات الجديدة.

صوت: براكودا أيضًا؟!

صاحب الصوت المرتفع: ... سوف نبحث عن اسم آخر ... فإنني أعتقد أن «كوستا» كان يعرف بعض الأشياء عن عمليات «براكودا» السبعة. ولعل هؤلاء الشبان يعرفون شيئًا عنها.

صوت: إننا لم نتحدث عن هؤلاء الشبان ... من الذي وضعهم في طريقنا؟ وهل هم خطرون بحيث يجب إزالتهم عن طريقنا ... أم من الممكن التفاهم معهم؟

صاحب الصوت المرتفع: إنهم في منتهى الصلابة ... وها هم اثنان منهم يموتان غرقًا دون أن ينطقا بكلمة واحدة ... والمهم بالنسبة لنا أنهم ليسوا على علاقة بالشرطة ... ويبدو أنهم ينتمون إلى منظمةٍ من منظمات العالم السفلي تحاول ابتزازنا.

سمع «عثمان» هذا الحوار وأحس بقلبه يسقط بين قدميه ... لقد مات «باسم» و«ريما» غريقَيْن ولا بد من انتقامٍ عاجلٍ ... وشامل ... ورهيب!

الضرب تحت الحزام

كان على «عثمان» أن يتخذ قرارًا سريعًا ... هل هو الهجوم حالًا على المجموعة التي في الغرفة؟ هل هو الانتظار؟ هل هو العودة بالمعلومات إلى مقر الشياطين وإخطار رقم «صفر» والاتفاق مع الشرطة اللبنانية؟

إن اقتحام الغرفة وبها عدد لا يقل عن خمسة أشخاص ليس مهمة مضمونة النتائج، والعودة إلى مقر الشياطين قد يعطي الفرصة لهؤلاء بالهرب أو الاختفاء عن الأنظار ... ورغم الآلام الهائلة والغضب الهائج الذي كان يعصف بـ «عثمان» فقد قرَّر أن ينتظر لحظاتٍ أخرى قبل تحديد الخطوة التالية.

سمع أحد الرجال يقول: أعتقد أن الرجلَيْن قد وصلا الآن إلى السفينة، وأنها أبحرَت وفي إمكاننا أن نذهب إلى «بيروت»؛ فقد ضقت ذرعًا بالبقاء في هذا السجن.

ضحك بقية الرجال وسمع «عثمان» أصوات قيامهم، فأسرع ينزل السلم، ومعه «زبيدة»، واختفى تحت السلم وهو يفكر بسرعة فيما ينبغي عمله ... بينما وقفت «زبيدة» وقد وضعت يدها على زناد المدفع في انتظار تطورات الأحداث.

كان تفكير «عثمان» منطقيًّا: «فلا بد أن الرجال سيتركون حراسًا في المكان.» وفي إمكانه مع «زبيدة» أن يتغلب عليهم ... وأن يعرف ... وأحس بالدم يندفع إلى رأسه ... إنه يريد أن يعرف كيف مات «ريما» و«باسم».

مرَّت فترةٌ طويلةٌ دون أن يظهر أحد في الدهاليز التي لم يشك «عثمان» أنها تحت مستوى البحر ... وأنها قديمة منذ بناء المنزل، ولكنها تستخدم الآن لأغراض مثيرة للشبهات ... وقرَّر «عثمان» أن يتحرك. وخرج هو و«زبيدة»، وعادا للصعود على السلم حتى وصلا إلى باب الغرفة المضاءة و«زبيدة» شاهرة مدفعها ... كان في الغرفة رجلٌ واحد، قد وضع

أمامه على المائدة مسدسًا، ووضع قدميه على المائدة، وذراعيه خلف رقبته، مستلقيًا في هدوء.

نظر الرجل إلى «زبيدة» كأنها شبحٌ قد أتى من عالمٍ خرافي ... ثم أخذ يتمالك نفسه ويمد يده للوصول إلى المسدس، ولكن «زبيدة» صاحَت به: أنصحك ألَّا تفعل.

وفي تلك اللحظة مرق «عثمان» من الباب ووقف أمام الرجل وقال: إننا نريد اختصار الحديث معك ... لنا صديقان دخلا هنا منذ نحو أربع ساعات ... ونحن نريد الوصول إليهما ... وأي محاولةٍ للإنكار ...

وصمت «عثمان» فقال الرجل وهو يبلع ريقه: لقد ماتا.

عثمان: وأين هما؟

الرجل: في غرفةٍ تحت الأرض تمتلئ بمياه البحر بواسطة رافعة معينة ...

عثمان: إذن هيا فورًا.

وقام الرجل، ودهش «عثمان» للبساطة التي أجاب بها ... ولكن الرجل كان يفكر في شيءٍ آخر ... فقد كان هناك ثلاثة حراس آخرون في المنزل ... أحدهم قريب من غرفة الموت، وسيكون من السهل التغلُّب على هذين الفتيين سريعًا.

ومشى الرجل أمامهما ... كان ضخم الجسم، متثاقل الخطو ... وسار خلفه «عثمان»، وقد دس المسدس الذي أخذه من فوق المائدة في حزامه ... وأمسك بكرته الجهنمية في يده ... وسارت خلفه «زبيدة» شاهرةً المدفع ... ونزلوا السلم. ثم أخذوا الاتجاه الآخر للدهليز ... واستطاع «عثمان» أن يميز بأذنَيْه المرهفتَيْن أنهم قريبون من البحر ... فقد كان صوت هديره واضحًا وكان يتدفَّق تحتهم ... ثم لاحظ أيضًا أن الرجل يبطئ في خطوه، وأنه يسعل باستمرار ... رغم أنه لم يكن يسعل من قبل ... وأدرك على الفور أن الرجل يحاول أن يُعطي إشارة لشخصٍ ما ... فمد يده وأمسك الرجل من ذراعه وجذبه إلى الخلف ... وكانوا قد اقتربوا من انحناءةٍ في الدهليز ... وتقدَّم «عثمان» بهدوءٍ والتصق بالحائط، ونظر ... كان ثمة حارسٌ يتمشَّى في الجانب الآخر من الدهليز وينظر في ساعته ... واستعد «عثمان» وأدار كرته المطاطة الجهنمية بضع مراتٍ في يده، ثم مرق إلى مدخل الدهليز وأطلق الكرة كالقنبلة، فأصابت الرجل في وجهه وسقط على الأرض ... وفي تلك اللحظة سمع خلفه صوت صراع ... فالتفت ووجد «زبيدة» والرجل مشتبكَيْن في صراع عنيف كل منهما يحاول الوصول إلى المدفع الذي يبدو أنه سقط لسبب لا يعرفه من «زبيدة»، كان في إمكان «عثمان» أن يتدخل، ولكنه اكتفى بالمشاهدة ... وكان يرقب أثر التدريب العنيف

الذي مروا به جميعًا في الكهف السري ... وسرعان ما استطاعَتْ «زبيدة» أن تقفز برشاقةٍ إلى فوق ... ثم تصنع من ساقيها مقصًّا على رقبة الرجل الذي سقط على الأرض وقد احتقن وجهه ... وأخذت «زبيدة» تضغط، ولكن «عثمان» أشار إليها أنهما في حاجةٍ إلى الرجل ليدلهما على مكان «باسم» و«ريما» حيث غرقا.

وعادَت «زبيدة» إلى الوقوف ... وأمسكت بالمدفع، ولم يكن الرجل في حاجة إلى تهديد؛ فقد وقف يلهث محاولًا استرداد نفسه، وقد أدرك أنه إزاء خصمَيْن عنيدَيْن. وقالت «زبيدة»: لقد انتهز فرصة مراقبتي لك وأنت تقف إلى مدخل الدهليز وضرب المدفع من يدي ... وأشارت إلى كدمةٍ حمراء على ذراعها.

كان الوقت الذي يمضي ثمينًا جدًّا ... وكان «عثمان» يدرك ذلك ... فقد يكون الرجل قد أخطأ التقدير و«ريما» و«باسم» لم يغرقا ... أو قد وصلا إلى حد الغرق ولم يموتا. كانت آمالًا خافتة ... ولكن «عثمان» كان متمسكًا بها من أجل صديقيه.

سار الرجل أمامهما في الدهليز ... ووصلوا إلى حيث كان الحارس الذي ضربه «عثمان» بكرته التي لا تخطئ ... وكان منطرحًا على وجهه ... وشاهد «عثمان» الذراع ... التي بالحائط وأدرك كل شيء فصاح بالرجل: هذه الذراع ... هل تفتح بابًا على البحر يسمح بدخول المياه في الدهليز والغرف التي به؟

لم يُجب الرجل ... لقد كان يأمل أن يتغلَّب بقية الحراس على هذَيْن الشابَّيْن ... ولم يكن على استعدادٍ الآن للإجابة ... ولم ينتظره «عثمان» وانقض على الذراع يُديرها إلى الناحية الأخرى ... وسرعان ما انفتح الباب، وانطلقت منه المياه هادرة تجري في الدهليز كالثعبان ... وخاض «عثمان» المياه غير مبالٍ، ولكنه قبل أن يصل إلى الغرفة، شاهد «ريما» و«باسم» تقذفهما المياه المتدفقة خارج الغرفة.

انقض «عثمان» على «باسم» ورأى وجهًا غريبًا يطالعه ... وجه شخص ميت ولكن الأنفاس ما زالت تتردد في صدره ... ثم نست «زبيدة» واجبها في مراقبة الرجل وأسرعت هي الأخرى إلى «ريما» ... كان وجهها منتفخًا ... ولكن أنفاسها الواهنة ما تزال تتردد ...

صاح «عثمان»: «باسم»!

وصاحت «زبيدة»: «ريما»!

كانت لحظات لقاء مؤثرة ... وكان «باسم» و«ريما» مُجهدَيْن ولم يكن هناك وقتٌ للحديث، لقد هرب الرجل، وتوقَّع «عثمان» على الفور أن هجومًا سيقع فورًا ... فترك أمر العناية بالصديقَيْن إلى «زبيدة» وأسرع إلى طرف الدهليز ... وكانت المياه ما تزال تتدفق وقد ارتفعت إلى نحو ربع متر في الدهليز.

لم يكن «باسم» ولا «ريما» قد أُصِيبا بأي شيءٍ سوى الإجهاد وهما يُقاومان الغرق، ويُحاولان الطفو فوق المياه التي ملأت الغرفة ... وقد استطاعا التمسُّك بالحياة حتى اللحظات الأخيرة، وقالت «ريما» وهي تحدث «زبيدة»: ... عندما فتحتما الباب كنت قد بدأت أحس بقواي تخور ... وبالإغماء، وأنني أغوص في المياه ...

أسرع «باسم» يلحق بـ «عثمان»، وسرعان ما ظهر الحراس يحملون المدافع الرشاشة ... كانوا ثلاثة ومعهم الرجل الذي كان مع «عثمان» و«زبيدة» ... وكان «باسم» قد أخذ المدفع من «زبيدة» ... قبل أن يبتل بالمياه، وكان ممتلئًا غيظًا وسخطًا رغم إحساسه بالوهن، فلم يتردد وأطلق مدفعه في وجوه الرجال الأربعة ... أما «عثمان» فقد أطلق كرته الجهنمية وسقط أحد الأربعة، ثم أخرج المسدس من حزامه، وأخذ يطلقه ...

سقط اثنان من الحراس في المياه ... وبقي الرجل الذي هرب وأحد الحراس ... وكانت المياه المتدفقة تخل بتوازن الجميع، فبدوا وكأنهم يرقصون في المياه ... وأدرك «عثمان» أن التصويب من بعدٍ مع هذا الاهتزاز لن يُجدي، فاندفع بجوار الحائط، وتبعه «باسم» فأدار الرجلان ظهريهما لهما وأسرعا بالفرار ... ولكن الصديقَيْن كانا أسرع وأخف، فاستطاعا اللحاق بهما، وقبل أن يلتفت الحارس الذي يحمل المدفع الرشاش، كان «باسم» قد انقضَّ عليه ووجَّه له لكمةً أسقطَتْه في المياه، ثم انحنى عليه ورفعه ... وضرب رأسه في الحائط ضربةً واحدةً سقط على إثرها، أما «عثمان» فلم تكن مهمته متعبة ... فقد قفز في الهواء على الرجل الضخم وركب على كتفيه، ثم أدار وجهه وضربه ضربةً واحدة، بسيف يده على عنقِه فسقط كالثور المذبوح في المياه.

قال «باسم» وهو يبتسم لأول مرة في تلك الليلة: إنني لم أشفِ غليلي بعد من هؤلاء الأشرار ... فقد أسروني مرتين ... ولا بد أن أرد لهم الصاع صاعين مهما كانت الأسباب.

قال «عثمان»: إن المياه ستغمر المكان، هيا بنا.

وكان «ريما» و«زبيدة» قد لحقتا بهما ... وأسرع الجميع يغادرون المنزل ... ثم استقل «عثمان» و«ريما» سيارة، و«زبيدة» و«باسم» سيارة، وانطلق الجميع في طريقهم إلى بيروت.

كانت الليلة حالكة الظلام ... ولكن السيارتان مضتا بسرعةٍ كبيرة ... كان عند الأربعة من المعلومات ما يستحقُّ أن يصلَ فورًا إلى رقم «صفر» خاصةً صناديق الديناميت ... واحتمال أن يكون هناك عمليات تخريب ... وأخذت «ريما» تروي لـ «عثمان» ما حدث عندما دخلت غرفة الموت: أدركت أنني انتهيت فعلًا؛ فقد كانت المياه ترتفع في الغرفة

بسرعة مخيفة ... وفي البداية حاولنا أن نسد الفتحة العريضة ... ولكن كان ذلك مستحيلًا ... وبدأت المياه ترتفع بسرعةٍ وأخذنا أنا و«باسم» ننظم تنفُّسنا ... كنا نريد الاحتفاظ بأعصابنا ثابتة ... وكل نسمة هواء يمكن أن نتنفَّسها ... وقد أفادنا ذلك كثيرًا ... ولولاه لغرقنا قبل أن تصلا أنت و«زبيدة» بمدةٍ طويلة ...

وسكتت «ريما» لحظات ثم مضَتْ تقول: إن «باسم» ولدٌ ممتاز ... لقد كانوا يتحدثون إلينا بالميكريفونات لإغرائنا بالحديث عن حقيقتنا ... وإلى أي المنظمات ننتمي ... وأعترف لك أني فكرت أحيانًا أن أعترف ... فقد كان نَفَسي يضيق وكنت أحس بالموت يتسلَّل إلى جسدي ... ولكن «باسم» ظل صامدًا ... وعندما أوشكت على الإغماء، وأحسست أن النهاية تقترب، مددت يدي إليه وأمسكت به في الظلام فأخذ يشد على يدي مشجعًا.

قال «عثمان»: إن القضية كما أعتقد أكبر مما نتصوَّر بكثير ... إنها عملية تزييفٍ خطيرة تشمل عملات دول كثيرة ... من بينها «لبنان» ومن بعدها «مصر» ولعل بعد «مصر» بقية الدول العربية.

وفي تلك اللحظة حدث ما لم يكن في الحسبان ... ظهر في وسط الطريق أمام السيارة المسرعة جِذْع شجرة ضخم يسد الطريق ... وضغط «عثمان» على الفرامل بكل قوته وتبعته «زبيدة» في السيارة الثانية ... وانهمر الرصاص عليهم من جانبي الطريق.

النهاية تقترب

تلقَّت سيارة «عثمان» الطلقات الأولى، فانحرفت عن الطريق، واندفعت تسقط إلى أسفل الجبل ... ولكن «عثمان» استطاع في اللحظة الأخيرة أن يُوقِف السيارة على حافة الطريق ... في نفس الوقت الذي ظلَّت فيه سيارة «زبيدة» ومعها «باسم» مندفعة وصاح «باسم»: انطلقي في اتجاه النار ...!

وانحرفت «زبيدة» بالسيارة، بينما أخرج «باسم» المدفع الرشاش من نافذة السيارة وأطلق سيلًا من الرصاص على المتربِّصين في جانب الطريق، ودارَت «زبيدة» بالسيارة قبل أن تصطدم بجِذع الشجرة، كانت دورة كاملة، عاودَتْ فيها السيارةُ، وهي تمس حافة الطريق المرتفع، طريقها عائدة. ثم أوقفت «زبيدة» السيارة، وارتمت من الباب خارجه ... وكذلك فعل «باسم» وهو مستمر في إطلاق المدفع ... وكان ثلاثة أشباح قد ظهروا في تلك اللحظة خارجين من جانب الطريق وهم يُطلقون النار ... ولم يشعر أحدٌ منهم بـ «عثمان» و«ريما» وهما يتسلَّلان خلفهم، وعلى ضوء السيارات الواقفة أطلق «عثمان» كرته المطاطة فأصابت واحدًا منهم، سقط على الأرض، وأسرع ينقض على الآخر، وكذلك فعلت «ريما» ودار صراعٌ على كشافات السيارات وأقبل «باسم» و«زبيدة» ... وسرعان ما كان الشياطين الأربعة يُسَيطرون على الموقف ويدفعون بالمهاجمين جريًا إلى جانب الجبل.

وتكاتف الأربعة فزحزحوا جذع الشجرة الذي يعترض الطريق ... وكانت سيارة «عثمان» قد أصيبت في إطاراتها ولم يَعُد في الإمكان تسييرها ... وكان على الشياطين مغادرة المكان بسرعة، فانحشروا في السيارة الباقية، وانطلقوا ينهبون الأرض في اتجاه «بيروت».

عندما وصلوا إلى مقرِّهم في شارع «أحمد شوقي» وجدوا «أحمد» و«إلهام» يستعدَّان للحاق بهم ... وجلس الستة يتبادلون الأحاديث، ومرةً أخرى كان «باسم» يتحدَّث ... وبدأ

حديثه قائلًا: يبدو أنني سأضطر لإلقاء محاضراتٍ عليكم في كيفية الوقوع في الأسر والهرب منه.

قالت «إلهام» ضاحكة: إنها مهمة أي مغامر ... المهم ماذا حدث؟

وروى لهم «باسم» ما حدث له هو و«ريما»، ثم أكمل «عثمان» القصة، وقدَّم تقريرًا مفصلًا عن الأحاديث التي سمعها والمفرقعات التي شاهدها في منزل قرية «عبده».

قال «أحمد»: مفرقعات؟!

عثمان: نعم.

أحمد: ذلك شيءٌ مدهش، ويحتاج منَّا إلى إعادة النظر في كل ما تصوَّرْناه. فما حاجة عصابةٍ للتزييف إلى مفرقعات؟

عثمان: فكرت في شيئين ... الأول أن يكون في نيتهم نسف المنزل حتى لا يعرف أحدٌ ماذا كان يدور فيه ... الشيء الثاني أن يكون في نيتهم القيامُ بعمليات تخريب ... خاصةً إذا ربطنا بين المفرقعات وتعبير «عملية براكودا» التي جاءوا لتنفيذ السابعة منها في «لبنان» ... ثم يذهبون بعد ذلك إلى «مصر».

أحمد: إن كلمة «براكودا» ... كما تعرفون هي اسم نوعٍ من السمك المتوحش يعيش في أنهار أمريكا الجنوبية، وهو من أشد أنواع الأسماك فتكًا.

زبيدة: هل تقصد أن تربط بين معنى الاسم والعملية ذاتها؟

أحمد: ربما!

زبيدة: ليس هذا ضروريًّا ... الكثير من العمليات كان يُطلق عليها أسماء مستعارة لا علاقة لها بها.

إلهام: إنكم متعبون وعليكم أن ترتاحوا ... وأرى أن يقوم «أحمد» بإرسال تقريرٍ إلى رقم «صفر» بالمعلومات التي حصلتم عليها ... أما أنا فسوف أذهب إلى فراشي فعندي عمل غدًا.

ريما: أي عمل؟

إلهام: لقد استطاع رقم «صفر» إلحاقي بالعمل في شركة «النجمة الزرقاء» للنقل البحري وسأتسلم عملي غدًا.

ريما: مدهش! ... الشركة التي يرأسها «باغوص»؟

إلهام: نعم ...

ثم ابتسمَت قائلة: أنا من الغد موظفة عند «باغوص» ... فخذوا حذركم مني.

في صباح اليوم التالي استيقظ الشياطين في التاسعة صباحًا ... ولم يجدوا «إلهام» فقد كانت قد خرجت للحاق بعملها الجديد مبكرة ... وعندما وصلت «إلهام» إلى المبنى الكبير الذي تشغله شركة «النجمة الزرقاء» وجدت كل شيءٍ يسير بشكلٍ طبيعي كما يحدث في أي شركة ... كأن ما حدث ليلًا من مغامراتٍ وإطلاق رصاص، ومحاولة قتلٍ لا علاقة له بالشركة.

وكانت «إلهام» قد اختارت أن تعمل في قسم أرشيف الشركة. وهو القسم الذي يحتفظ بكل المعلومات الخاصة بالشركة ... وعلمت «إلهام» أن هناك اجتماعًا لمجلس إدارة الشركة يرأسه «فارس فريج». وهكذا عرفت أن «باغوص» ما زال في لبنان.

كان على «إلهام» أن تضع ما يصلها من أوراق في ملفات خاصة ... وكان طبيعيًّا أن تقرأ كل ورقة تصلها ... كانت تقرأ باهتمام وتمعن محاولةً البحث عن أية معلومات تُفيد في الكشف عن حقيقة هذه الشركة ... وهل تخفي خلفها أعمالًا مخالفةً للقانون. خاصةً التزييف ... ولكن لم يكن هناك أي شيءٍ غير عادي في أعمال الشركة. وكانت «إلهام» تحمل كاميرا صغيرة جدًّا يمكنها تصوير المستندات في ثوانٍ قليلة ... وكانت الكاميرا موضوعةً في ساعة يدها وكان في استطاعتها أن تصوِّر أي مستندٍ دون أي إثارة لشبهات الزميلات أو الزملاء الذين يعملون معها.

وجاءتها مستندات أول سفينة شحن ستخرج من بيروت تابعة للشركة ... وستفرغ كميات من البضائع في موانئ مختلفة. ودق قلبها سريعًا عندما رأت أن السفينة سوف تمرُّ في خليج «بسكاي» ... وتذكرت أن الخريطة التي وجدوها مع «كوستا» كانت تحمل اسم هذا المكان ... وكانت هذه أول ورقة تربط بين المعلومات السرية التي يعرفها الشياطين الـ ١٣ وبين شركة «النجمة الزرقاء».

وضعت «إلهام» الورقة أمامها. وأضاءت النور الذي على مكتبها، ثم أدارت ساعتها بحيث يكون وجهها إلى الداخل وأمالَتْ ذراعها على الورقة ثم ضغطت على مفتاح الساعة فصدر منها صوتٌ خفيف جدًّا لا يكاد يُسمع. وتم تصوير الورقة، وكانت «إلهام» تفعل كل هذا وهي تنظر إلى حولها وكأنها لا تفعل شيئًا، ثم قامت فوضعت الورقة في مكانها وأخذت تفحص بقية الأوراق وتضعها في الملفات الخاصة بها.

وعندما انتهى العمل أسرعَتْ إلى مقر الشياطين الـ ١٣ ووجدَتْ أن رقم «صفر» قد أرسل تقريرًا عن الرجل القتيل الذي وُجد في جيبه مفتاحُ المنزلِ المهجور في قرية «عبده» وقال رقم «صفر» في تقريره: وصلتنا المعلومات الخاصة بصاحب المفتاح؛ اسمه «سلامندر»،

فرنسي الجنسية، يملك عدة شركاتٍ للنقل البحري في أماكن متفرقة من العالم، بعض أعماله عليها شبهات قوية، وقد اضطر إلى تصفية كثير من أعماله في عدد من الدول واعتُبر شخصًا غير مرغوب فيه. واضح أن هناك علاقة بين «فارس فريج» أو «باغوص» كما تسمونه وبين «سلامندر» فكلاهما يشتغل بالنقل البحري ... وكلاهما كان يحمل مفتاحًا لمنزل قرية «عبده» ... تقريركم عن المنزل مثمر للغاية. أنتظر منكم تقريرًا عن نشاط «إلهام» في الشركة.

قالت «إلهام»: ليس هناك ما يثير الشبهات ... وطبعًا نشاط الشركة ما زال في بدايته فلم أعثر على شيء له أهمية ... ولكن قمت بتصوير مستندٍ عن سفينة الشحن «كوشون». ستبحر الليلة القادمة من بيروت في طريقها إلى عدة موانئ أوروبية ... تحمل شحنة من البترول العراقي الذي تم تصفيته في مصافي الشركة في قرية «عبده» ... المهم جدًّا أن ناقلة البترول هذه سوف تمر في خليج «بسكاي» ... وأنتم تذكرون أن هذا الخليج كان على الخريطة التي عثرنا عليها في محفظة المخبر السري «كوستا».

قال «أحمد»: من المؤكد أن نشاط هذه الشركة ليس نشاط عصابة تزييف ... فما حاجة عصابة للتزييف لكل هذه العمليات المعقدة لتغطي نشاطها؟ إن المسألة أخطر من هذا بكثير!

عثمان: هذا ما خطر لي قبلًا.

أحمد: ولكن ما هو هذا النشاط؟

باسم: عمليات شحن بحري ... نقود مزيفة ... مفرقعات ... منزل ذو دهاليز سرية ... أشخاص يموتون قتلى ... مخبر سري من اليونان ... أشياء غريبة ومتناقضة جدًّا.

إلهام: هل أقول لكم شيئًا يمكن أن يوضِّح هذه العمليات كلها؟

قال «أحمد» مبتسمًا: وماذا تنتظرين؟

إلهام: كوستا.

عثمان: «كوستا»؟ ما أهمية «كوستا» في هذا كله؟

إلهام: أظننا متفقين على أن «كوستا» لا يعمل لحسابه ... لكن لحساب شخصٍ أو أشخاصٍ يعرفون نشاط «باغوص» ... ومَن معه ... فلو استطعنا أن نكشف عن الأشخاص الذين كلَّفوا «كوستا» بالعمل، ربما عرفنا نوع النشاط الذي تُباشره مجموعة «باغوص».

لمعت في عينَيْ «أحمد» نظرة حب عميق، فأغمض عينيه سريعًا، ثم قال وكأنه يفكر: معقول جدًّا ... هل نُرسل بهذا تقريرًا إلى رقم «صفر»؟

إلهام: فورًا.

أحمد: تولَّيْ أنتِ إذن الاتصال به. قدِّمي له تقريرًا عن نشاطكِ في الشركة، واطلبي منه معلوماتٍ أوفر عن «كوستا» ...

وقامَت «إلهام» إلى غرفة اللاسلكي وبدأَتْ تُرسل: من شياطين الكهف السري إلى رقم «صفر» من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر». ستقوم أول ناقلة بترول تابعة لشركة «النجمة الزرقاء» برحلتها غدًا ليلًا. اسمها «كوشون» تحمل ١٥٠ ألف طن من البترول العراقي ... عندي صورة مستند لكل ما يخص السفينة. نريد أن نحصل على معلومات من اليونان عن نشاط المخبر السري «كوستا ج. ليونادس». إن لهذا أهمية كبيرة جدًّا بالنسبة لنا.

وبعد أن انتهت «إلهام» من إرسال التقرير والسؤال ... عادت إلى بقية الشياطين حيث تناولوا غداءً شهيًّا، ثم أخلدوا إلى الراحة.

وفي الثامنة من مساء نفس اليوم وصلهم من رقم «صفر» تقرير من سطر واحد: كوستا كان يعمل مخبرًا لحساب شركة «م. ك. س» للتأمين البحري في اليونان.

الحقائق المذهلة

كانت هذه الكلمات كافيةً لتغيير كل ما فكَّر فيه الشياطين الستة؛ فالمسألة ليست مسألة تخريب ولا تزييف ... ولكن خطة جهنمية تتكشَّف تدريجيًّا ... وقضى الشياطين الستة وقتًا طويلًا يتحدثون، ويضعون خططهم ... كانت تنقصهم بعض معلوماتٍ قليلة ثم يتضح كل شيء، ويمكن كشف حقيقة «باغوص» ومَن حوله ... وكان على «إلهام» أن تحصل على هذه المعلومات في اليوم التالي قبل إبحار ناقلة البترول، واختفاء آثار العمليات الإجرامية التي يقوم بها «باغوص» وأعوانه.

وفي صباح اليوم التالي توجَّهت «إلهام» إلى مقر الشركة ... وكان الاتفاق أن تتصل تليفونيًّا بالشياطين الخمسة بمجرد العثور على المعلومات المطلوبة ... وكانت المعلومات تتعلق بالتأمين على الناقلة «كوشون» ... ولم تكد «إلهام» تدخل حجرة عملها وتُلقي تحية الصباح على الزميلات والزملاء حتى بدأت في البحث عن ملف التأمين ... ولكن لم يكن له أثر ... ولم يكن من المعقول أن تسافر ناقلة ضخمة مثل «كوشون» تحمل هذه الكمية الهائلة من البترول دون التأمين عليها، وأخذَت «إلهام» تفكر ... ماذا تفعل؟

إنها لو سألت قد تُثير الاشتباه فيها، وهي متأكدةٌ بالطبع أن بعض هؤلاء العاملين لا بد أن يكون من أعوان «باغوص» وقرَّرَت أن تلجأ إلى خطةٍ أخرى ... أخرجَتْ إحدى الأوراق من الملف ودخلت دورة المياه وأخفتها هناك ... وبعد عودتها بدقائق قالت بصوتٍ مرتفع: هناك ورقةٌ ناقصة من ملف التموين.

قالت رئيسة القسم: كيف؟

إلهام: لا أدري ... كانت ضمن الأوراق في المكتب أمس ... ولم أكن قد وضعتها في الملف بعد ... ويبدو أن أحد الزملاء أخطأ وأخذها بين أوراقه.

الرئيسة: ذلك شيءٌ غير ممكن ... لماذا يأخذ أحد الزملاء ورقةً لا تخصُّه من فوق مكتبك؟ على كل حالٍ ابحثي جيدًا.

وتظاهرَت «إلهام» أنها تبحث ... وأنها متضايقة ... ثم أخذَتْ تنتقل بين زملائها وزميلاتها وهي تقرأ عناوين الملفات التي بين أيديهم ... كانت تُريد أن تجد ملف التأمينات وبعدها يمكن التصرُّف ... ولكن لم يكن هناك أي شيءٍ خاص بالتأمين عند أيٍّ من الزملاء أو الزميلات.

أدركت «إلهام» على الفور أن «باغوص» الحذِر يُبقي أوراق التأمينات في مكتبه، ولم يكن هناك حلٌّ سوى محاولة دخول غرفته ... ولكن كيف؟

خرجت من الغرفة وتوجهت إلى سكرتير رئيس الشركة ... وقالت له بثبات: أريد أن أقابل الأستاذ فارس ...

السكرتير: لماذا؟

إلهام: إنني أريد مقابلته لأسبابٍ هامَّة.

السكرتير: لا بد من تحديد موعدٍ سابق ... بالإضافة إلى أنه لم يحضر بعد.

كانت هذه هي الإجابة التي تريد «إلهام» الحصول عليها ... أن رئيس مجلس الإدارة أو «باغوص» ليس في مكتبه ... والمهم الآن هو إخراج السكرتير من مكانه فترة تكفي لتفتيش مكتب رئيس مجلس الإدارة بسرعة.

وأخذت تتسكع بين المكاتب في انتظار فرصةٍ مواتية ... ولكن السكرتير لم يخرج من مكتبه مطلقًا ... وقررت «إلهام» اللجوء إلى خطة خطيرة، ولكن لم يكن أمامها مفر ... جمعت بعض الأوراق، ثم دخلت دورة المياه، وأشعلت فيها النار، وأغلقَت الباب وخرجت ... وجلست في مكانها هادئة ... وبعد لحظاتٍ سمعت ما توقعته ... صوت فتاة تصيح: النار ... النار!

وأبدَتْ «إلهام» فزعًا مصطنعًا، وأخذت تصيح كأنما أصابها مسٌّ من الجنون، وأسرع الموظفون يغادرون أماكنهم ... وأسرعت هي إلى الممر المؤدي إلى غرفة رئيس مجلس الإدارة وهي تصيح: «... النار! حريق!» وفتح السكرتير الباب وانطلق إلى حيث تجمع الموظفون، وأسرعَتْ هي تفتح باب غرفة «باغوص» وتدخل ... شملت الغرفة بنظرة سريعة، ثم تقدَّمت من المكتب وأخذت تفتش بسرعةٍ الأوراق التي عليه ... ولكن لم يكن هناك شيءٌ عن التأمين ... ولا ورقة واحدة. والتفتت إلى حيث يوجد دولاب من الحديد بجوار المكتب، وحاولت فتحه ولكنه كان مغلقًا ... وكانت مستعدة، أخرجت من أحد جيوبها كيسًا صغيرًا

من الجلد به بعض الأدوات الدقيقة التي تفتح أي نوعٍ من الأقفال، وبدأت عملها بسرعة ... واستطاعت في ثوانٍ قليلة أن تفتح الدولاب ... مدَّتْ يدها تفتح أحد أدراجه عندما سمعَتْ خلفها صوت بابٍ يُفتح وصوت رجلٍ يقول: هذا يكفي!

والتفتت «إلهام» ورأَتْ رجلًا لم تشك لحظة واحدة أنه «باغوص» حسب الأوصاف التي سمعَتْها من «باسم» و«ريما». كانت يده اليمنى تمسك مسدسًا كاتمًا للصوت وكان على وجهه علامات وحش سينقض على فريسته.

قال «باغوص» وهو يُغلق الباب: أنتِ طبعًا من مجموعة هؤلاء الأطفال الذين يُطاردونني لأسبابٍ أجهلها ... وقد آن الأوان لوضع حدٍّ لهذه المهزلة فقولي لي فورًا من أنتِ؟ إلى أي عصابةٍ في هذا العالم تنتمين؟

لم ترد «إلهام» وأخذَتْ تنظر إلى «باغوص» بثباتٍ وهي تقيس المسافة التي بينها وبينه ... وعاد «باغوص» يقول بصوتٍ نافد الصبر: قلت لكِ تحدثي فورًا وإلا ...

ومضى «باغوص» حتى جلس إلى المكتب.

ولوح بمسدسه ... وأضاف: إنه كاتمٌ للصوت ومن الممكن أن تموتي فورًا ... وسوف لا أتردَّد ... إنكم كالقطط بسبعة أرواح ... فقد استطاع زميلاكِ الإفلات من غرفة الموت، وكادت المياه تُغرق المنزل لولا أننا استطعنا إنقاذه في آخر لحظة ... الآن تحدثي!

وقبل أن ترد «إلهام» دق الباب ودخل شخصٌ مندفع يحمل في يده حقيبة أوراق وصاح بفرح: لقد وقعت عقود التأمين الآن ... خمسة ملايين ليرة لبنانية ... وبقية الأوراق مع العقود في الحقيبة.

لاحظ الداخل ما يحدث في الغرفة ووقف حائرًا لحظات. فقال «باغوص»: دع الحقيبة على المكتب واخرج الآن.

وأطاع الرجل وخرج ... ومد «باغوص» يده وأدار جهاز «ديكتافون» أمامه وقال: أرسل لي «سليم» و«بولس» ... إنهما في السيارة أمام الباب.

ودق جرس التليفون، ورفع «باغوص» السماعة ... وكانت فرصة «إلهام» الوحيدة قبل أن يصل الرجلان ... ألقَتْ بنفسها على الأرض، وأطلق «باغوص» طلقاتٍ أزَّت أزيزًا خافتًا، ولكن لم تُصبها، ووصلت «إلهام» إلى ما تحت المكتب وأمسكت ساقَيْ «باغوص» وشدتهما بكل قوتها وسقط «باغوص» من الكرسي، وقبل أن يعتدل كانت «إلهام» قد قفزَتْ واقفة وأمسكَتْ بالحقيبة التي تركها الرجل على المكتب، وبكل قوتها ضربت «باغوص» على رأسه، ثم انطلقت جارية وعندما فتحت الباب استعادت هدوءها، وردَّت على نظرات السكرتير المتسائلة بقولها: إن الرئيس يطلب منك بسرعةٍ إرسالَ «سليم» و«بولس» إليه ...

رد الرجل: لقد أرسلت في طلبهما فورًا.

وما كادت «إلهام» تغادر الدهليز حتى أسرعت تنزل السلالم دون انتظار المصعد ... كانت تقفز الدرجات كالشيطان حتى وصلَتْ إلى الباب الخارجي للعمارة، واستقلَّت أول تاكسي قابلها ثم استرخت في مقعدها بعد أن أعطَتْه العنوان.

بعد ربع ساعة كانت «إلهام» تجلس مع الشياطين الخمسة يفتحون الحقيبة ... كانت مكتظة بالأوراق ... وأخذوا يفحصونها ورقة ورقة ... ومضت نصف ساعة وقامت «إلهام» مسرعة إلى جهاز اللاسلكي وبدأت ترسل إلى رقم «صفر» أخطر تقرير حصلوا عليه في هذه المغامرة، بينما انطلق بقية الشياطين إلى مقر الشركة ... وذهب «أحمد» وحده إلى الميناء.

من «ش. ك. س» إلى رقم «صفر»

اطلب من السلطات اللبنانية القبضَ على «فارس فريج» أو «باغوص» كما هو اسمه الحقيقي. إنه يُدير عصابةً للاستيلاء على أموال شركات التأمين؛ فهو يرسل سفنًا محملةً بالبترول أو البضائع إلى بعض الموانئ المعروفة، ولكن هذه الحمولات لا تصل إلى الموانئ. إنما يتم تفريغها في موانئ صغيرة مجهولة، ثم تُنسف السفينة في عرض البحر ... خاصةً في خليج «بسكاي» وهو ما يسمونه مقبرة السفن ... ويقبض «باغوص» قيمة التأمين. إن الناقلة «كوشون» محملة بالبترول، ومشحونة بالمفرقعات في نفس الوقت ... يجب منعها من الإبحار وتفتيشها. لقد ذهبت «ريما» و«باسم» إلى المنزل في قرية «عبده» لمحاصرته قبل هرب أفراد العصابة ... وذهب «عثمان» و«زبيدة» إلى مقر الشركة لمنع «باغوص» من الهرب ... وذهب «أحمد» إلى الميناء لشرح الموقف لقبطان السفينة وسلطات الميناء ... أرسل فرقةً من الشرطة إلى هناك حتى يتمكن الشياطين من الانسحاب قبل أن ينكشف أمرهم ... انتهى ...

في تلك الليلة اجتمع الشياطين الستة حول تقرير رقم «صفر» إليهم:

من رقم «صفر» إلى «ش. ك. س»

باسم الحكومة اللبنانية وشركة التأمين التي أنقذتم أموالها أقدِّم لكم الشكر. لقد قبضنا على الجميع بما فيهم «باغوص» الذي اتضح أنه ليس لبنانيًّا، ولكن تركي الجنسية وأنه كوَّن عصابة من سبعةٍ من الشركاء الكبار لعمليات الاستيلاء على أموال شركات التأمين في دول كثيرة. وقد نجح في كل عملياته الستة الماضية

التي كانت تسمى عمليات براكودا «١» وبراكودا «٢» إلى آخره، وكانت عملية «كوشون» هي عملية براكودا «٧». كان مع كلٍّ من الشركاء السبعة: «باغوص»، و«فرانشسكو» و«شتايبر» و«موريلِّي» و«يوشيرو» و«جافين» و«سلامندر»؛ مفتاحٌ لمنزل قرية «عبده»، وكانوا قد اشتروا المنزل الذي كان مهجورًا لتدبير عملياتهم الإجرامية، ولكن «باغوص» كان طماعًا، فقرَّر تصفية شركائه حتى يحصل على أرباحهم لنفسه، فتخلص من «يوشيرو» و«جافين» و«سلامندر» والأخير هو الذي عثرنا معه على المفتاح، وكان في نيته التخلص من بقية شركائه فيما بعد.

أكرِّر شكري لكم ... وأتمنى لكم التوفيق في مهماتكم القادمة ... وتحية خاصة إلى «باسم» و«ريما» اللذَيْن قاما بدورٍ هامٍّ في الكشف عن هذه العصابة الرهيبة التي دوَّخت رجال الشرطة في جميع أنحاء العالم ولقيَتْ نهايتها على يديكم.

التوقيع
«رقم صفر»

ابتسم «أحمد» لـ «إلهام» ... و«عثمان» لـ «زبيدة» ... و«باسم» لـ «ريما» ... وكانت كل بسمةٍ من البسمات الثلاث تحمل معنًى خاصًّا ... معنى الحب الرقيق النظيف بين زملاء المغامرة والمدافعين عن الحق والعدالة.

هنـــداوي